الضمير المتصل بعد لولا

د . سعد بن حمدان الغامدي
الأستاذ المشارك بقسم اللغة والنحو والصرف
كلية اللغة العربية – جامعة أم القرى

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وسلم.

كشف هذا البحث موقف النحاة من أسلوب أخبر الثقات أنّ العرب تتكلم به وهو قولهم: لولاي ولولاك موقعين الضمير المتصل بعد لولا بدلاً من ضمير الرفع المنفصل، ورأينا أن النحاة حاولوا توجيهه؛ لصحة استعماله مع مخالفته للقياس، إلاّ ما كان من المبرد من إنكار له على الرغم من وجوده عند الشعراء قبله ومن معاصريه ممّن يحتج بشعرهم أو ممن شهد لهم الناس بالفحولة والتقدم والنسج على منوال الشعر الفصيح المحتج به.

ورأينا أن الشعراء فيما تلا عصور الاحتجاج زاد استعمالهم لهذا الأسلوب حتى فاق استعمال الأسلوب القياسي، مما ظهر واضحاً جلياً عند أبي تمام والبحتري والمتنبي وغيرهم.

وكما أن هذا الأسلوب لم يرد إلا في أحاديث ضعيفة أو موضوعة إلا ما كان من حديث سنده صحيح عند أبي يعلى الموصلي؛ فقد شعرت وأنا أتتبع هذا الاستعمال في الشعر عبر العصور أنّ وجوده في شعر مّا قد يكون مفيداً في تحديد زمانه، ومفيداً في تحديد مدى فصاحة الشاعر وصحة نسبة الشعر.

وهذا الأسلوب قد يشير إلى تسامح العرب وتصرفها في بعض الأساليب عند أمن اللبس، وقد يشير أيضاً إلى أنّ الأساليب التي تلتزم نمطاً معيناً عرضة للتغيير الذي لا يترتب عليه تغيير في المعنى أو خفاء في الدلالة.



تمهيد

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد /

فإنّ (لولا) الامتناعية وردت في القرآن في أربعة وثلاثين موضعاً كانت باعتبار ما يليها من الأسماء على النحو التالي :

١- جاء بعدها الاسم الظاهر مضافاً إلى معرفة ظاهر في أحد عشر موضعاً مِنْ مثل قوله تعالى {فلولا فضل الله

عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين} البقرة:٦، وكان المضاف إليه ضميراً في موضعي هود:٩١،والفرقان:٧٧ فالمجموع ثلاثة عشر موضعاً.

٢- وجاء بعدها الاسم الظاهر نكرةً في ثمانية مواضع منها {لولا كتابٌ من الله سبَق لمسّكم فيما أَخذتم عذابٌ عظيمٌ} الأنفال:٦٨.

٣- وجاء بعدها الضمير المنفصل في موضع واحد وهو {لولا أنتم لكنّا مؤمنين} سبأ:٣١.

٤- وجاء بعدها (أَنْ) المصدريّة وصلتها في أحد عشر موضعاً من مثل {وما كنَّا لنهتدي لولا أَنْ هدانا الله} الأعراف:٤٣.

٥- وجاء بعدها (أَنَّ) المصدرية وصلتها في موضع واحد هو {فلولا أنّه كان من المسبّحين} الصافات:١٤٣.

فبيّن هذا أنّ الأكثر أن يرد بعد (لولا) الامتناعية الاسم الظاهر حيث بلغ واحداً وعشرين موضعاً، يليه ما يؤوّل بالاسم في اثني عشر موضعاً، وجاء الضمير المنفصل مرّة واحدة يتيمة، وواضح أنّ الضمير المتصل لم يرد بعدها، هذا في القرآن، ولكننا نعلم أنّ القرآن ليس كلّ لغة العرب مع أنّه أوثق وأصحّ ما نقل بما حفظه الله وبما بذله المسلمون الأوائل من حرص وعمل حماه وحفظه بعيداً عن مظنة النقص والزيادة والتحريف والتصحيف. ونعلم أيضاً أنّ أكثر كلام العرب هو نثرها وشعرها ولغة خطابها اليومي، وما ضاع منه كثير وبقي الكثير وإن كان قليلاً بالنسبة لما فقد وضاع.

ونعلم أيضاً أنّ ما روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) يعدّ قدرًا كبيرًا لا يقارن بما روي عن غيره من فصحاء العرب وهو أفصح العرب بيد أنّه من قريش.

وهكذا فإنّ البحث عن الضمير المتصل بعد (لولا) في هذا الكمّ الهائل من النصوص يعدّ أمراً عسيراً إلاّ فيما كان من النصوص مفهرساً فهرسةً دقيقة وقد كثر هذا بفضل الحاسوب والمكتبة الإلكترونية التي تمكنك من الاطلاع على أي كلمة أو أسلوب بسرعة فائقة وبخاصة في الحديث الشريف الذي أودعت أمهات كتبه أقراصاً خف حملها وغلا مضمونها، وقد رأيت مع هذا أنه عليّ في هذا البحث أَنْ أقرأ أو أتصفّح عدداً لا بأس به من كتب الحديث والدواوين باحثًا عن هذا الأسلوب لعلّي أجد تصديقًا لما قال به شيخ النحاة سيبويه من وروده وإنْ عدّه مخالفًا للقياس فيما يجب أن يكون عليه الضمير بعد (لولا)، ولعلّي أيضًا أجد ما يفسر اتجاه العاميات العربية إلى استعمال الضمير المتصل بعد لولا كثيراً بدلاً من الضمير المنفصل ومخالفتها القياس في هذا الأمر. علماً أنني يئست من البحث عن هذا الأسلوب في النثر الفصيح بسبب عدم الفهرسة الوافية بالغرض حتى عن طريق المكتبة الإلكترونية إلا ما وفق الله إليه من البحث في الحديث الشريف؛ ولذلك اكتفيت بالحديث والشعر.

وقد جدّ أمرٌ عندما أوشكت على إنهاء هذا العمل، وهو حصولي على الموسوعة الشعرية من خلال الشبكة العالمية، وقد مكنتني من الاطلاع على هذا الاستعمال في أكثر من مليون ومائتي ألف بيت لأكثر من ألف شاعر، وستظهر فائدة هذه الموسوعة في جملة من الإحصاءات التي تخدم أهداف هذا العمل.

وعلى أيّ حال سيكون هذا البحث في مسألتين :الأولى عن وقوع الضمير المتصل بعد لولا، والثانية عن الموضع الإعرابي لهذا الضمير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



المسألة الأولى: وقوع الضمير المتصل بعد (لولا)

يستفاد من كلام سيبويه (١٨٠هـ) أنّ القياس أنْ يأتي ضمير الرفع المنفصل بعد (لولا)، ولكنّ هذا لم يمنع ورود مثل: لولاي و لولاك من باب المضمر المحوّل عن حاله لو كان مظهرًا قال: "هذا باب ما يكون مضمرًا فيه الاسم متحوّلاً عن حاله إذا أظهر بعده الاسم: وذلك لولاك ولولاي إذا أضمرت الاسم فيه جُرَّ، وإذا أظهرت رُفِعَ. ولو جاءت علامة الإضمار على القياس، لقلت: لولا أنت، كما قال سبحانه (لولا أنتم لكنّا مؤمنين) سبأ:٣١، ولكنهم جعلوه مضمرًا مجرورًا، والدليل على ذلك أنّ الياء والكاف لا تكونان علامة مضمرٍ مرفوع".[١]

وأورد من شواهد مجيء الضمير المتصل بعد (لولا) قول يزيد بن الحكم الثقفي (١٠٥هـ):

وكم موطن لولاي طحت كما هوى   بأجرامه من قُلَّة النِّيق مُنْهوي

وبيّن أَنّ هذا قول الخليل رحمه الله ويونس، وربّما يفهم من هذا جواز هذا الأسلوب في الشعر والنثر، ويبقى أنّ سيبويه يرى في تحوُّل حال المضمر عن حال المظهر بعد أداتين ذكرهما وهما لولا وعسى أمرًا ممكنًا مع عدم إغفال أنّ الأصل مجيء المضمر على حال المظهر، ويكون الأمر خاصًّا بهاتين؛ وذلك كما كان للدن حالٌ مع (غدوة) ليست مع غيرها، وكما أنّ (لات) إذا لم تعملها في الأحيان لم تعملها فيما سواها فهي معها بمنزلة (ليس) فإذا جاوزتها فليس لها عمل= قاله سيبويه رحمه الله.[٢]

وقد نسب إلى المبرد (٢٨٥هـ) إنكار هذا الأسلوب، واختلفت عبارات العلماء في هذا:

فمن ذلك ما جاء عن السيرافي (٣٦٨هـ)، من أنّ أبا العباس المبرد: "ينكر لولاي ولولاك، ويزعم أنه خطأ لم يأت عن ثقة، وأنّ الذي استغواهم بيت الثقفي، وأنّ قصيدته فيها خطأ كثير"، وقال: "ما كان لأبي العباس أن يسقط الاستشهاد بشعر رجل من العرب قد روى قصيدته النحويون وغيرهم واستشهدوا بهذا البيت وغيره من القصيدة، ولا أن ينكر ما أجمع الجماعة على روايته عن العرب"[٣].

وجاء بعده الأعلم (٤٧٦هـ) مرددًا الكلام نفسه تقريبًا مشيرًا إلى إجماع النحويين المتقدمين من البصريين والكوفيين على الرواية عن العرب:"لولاك ولولاي"[٤].

وكلام السيرافي يتضمن أمرين أو تهمتين للمبرد أولاهما: إنكار المبرد هذا الأسلوب. وثانيتهما: ردّه الاحتجاج بشعر يزيد بن الحكم.

وهاهو ابن مالك (٦٧٢هـ) يقول: "وزعم المبرد أن ذلك لا يوجد في كلام من يحتج بكلامه"[٥].

والبغداديّ (١٠٩٣هـ) يقول عن المبرد إنه لا يجيز لولاك ولولاه، وإنّما يقول لولا أنت، وذكر أَنَّ أبا العباس قال: "وحُدِّثت أنّ أبا عمرو اجتهد في طلب مثل: لولاك ولولاي بيتًا يصدّقه أو كلامًا مأثورًا عن العرب، فلم يجده، قال أبو العباس: وهو مدفوع لم يأت عن ثقةٍ، ويزيد بن الحكم ليس بالفصيح وكذلك عنده قول الآخر (هو عمر بن أبي ربيعة ٩٣هـ):

لولاك هذا العام لم أحجج

قال: إذا نظرت إلى القصيدة (يعني قصيدة يزيد) رأيت الخطأ فيها فاشيًا"[٦]

وربما كان هذا الكلام الذي ينقله السيرافي والبغداديّ عن المبرّد في مكان ما من كتبه لم يتيسر لي العثور عليه، ويلاحظ أنّ نصّ البغداديّ يضيف إلى ما سبق وصف يزيد بن الحكم بعدم الفصاحة.

والذي جاء في المقتضب: "وكذلك قول الأخفش: وافق ضمير الخفض ضميرَ الرفـــع في (لولاي) فليس هذا بشيء، ولا قوله :– أنا كأنت ولا: أنت كأنا – بشيء، ولا يجوز هذا إنّما يتفق ضمير النصب وضمير الخفض؛ كاستوائهما في التثنية والجمع، وفي حمل المخفوض الذي لا يجري على النصب، (يقصد الممنوع من الصرف) مثل قولك: مررت بعمر استوى فيه الخفض والنصب، وأدخلت الخفض على النصب كما أدخلت النصب على الخفض؛ فهذان متواخيان، و الرفع بائن منهما".[٧]

وكلامه هنا ليس فيه إنكار لهذا الأسلوب بل يظهر وكأنّه يقرّ (لولاي ولولاك)، ولكنه ينكر ما ذهب إليه الأخفش من جعله هذا الأسلوب ممّا وقع فيه ضمير الخفض موضع ضمير الرفع.

وجاء في الكامل ما نصّه "قال: (وهو يقصد الشاعر الخارجيّ أعشى همدان ٨٣هـ في قوله:

ويوما بجيٍّ تلافيتـــــه ولولاك لاصطلم العسكر):

"أمّا قوله (لولاك) فإن سيبويه يزعم أن لولا تخفض المضمر، ويرتفع بعدها الظاهر بالابتداء، فيقال: إذا قلت: لولاك فما الدليل على أن الكاف مخفوضةٌ دون أن تكون منصوبة، وضمير النصب كضمير الخفض؟ فيقول: إنك تقول لنفسك: لولاي، ولو كانت منصوبة لكانت النون قبل الياء، كقولك: رماني وأعطاني، قال يزيد بن الحكم:

وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامــه من قلّة النِّيــق منهوي

فيقال له: الضمير في موضع ظاهره فكيف يكون مختلفاً؟ وإن كان هذا جائزاً فلم لا يكون في الفعل وما أشبهه نحو إنّ وما كان معها في الباب؟ وزعم الأخفش سعيد أنّ الضمير مرفوع ولكن وافق ضمير الخفض، كما يستوي الخفض والنصب. فيقال: فهل هذا في غير هذا الموضع؟

قال أبو العباس: والذي أقوله: إِنَّ هذا خطأ لا يصلح إلاّ أن تقول: لولا أنت، كما قال الله عزّ وجل {لولا أنتم لكنا مؤمنين} سبأ: ٣١، ومن خالفنا فهو لابدّ يزعم أن الذي قلناه أجود، ويدعي الوجه الأخر،فيجيزه على بعده".[٨]

انتهى كلامه، ولا يظهر فيه طعن في فصاحة يزيد، ولا ردّ للاحتجاج بشعره، ولا وصف للقصيدة بكثرة الخطأ فيها، إلاّ أنه يظهر بوضوح تخطئته مثل هذا الأسلوب، وكان هذا في سياق الحديث عن بيت الخارجي الذي ذكرناه قبل قليل.

ولعله لم يصله من السماع ما يكفي لإجازته هذا الأسلوب، في حين أنه قد وصل غيره –وإن كان قليلاً– فقد ورد عند سيبويه بيت يزيد بن الحكم، ولعلّ سيبويه سمع غيره من شعر ونثر، لأنّه ليس من شأنه وشأن البصريين أن يجيزوا شيئًا بناء على شاهد واحد، ولكنّه لم يذكر ما لديه، فخفي الأمر على المبرد، ولم يحاول المبرد نفسه البحث في شعر الشعراء إلاّ ما وقع في يده صدفة من بيت الخارجيّ الذي ذكرناه آنفًا مع بيت يزيد بن الحكم الوارد أصلاً في كتاب سيبويه.

هذا ويبدو خطأ المبرد واضحًا في التعبير عن رأي سيبويه؛ فسيبويه لم يزعم أن لولا تخفض المضمر وترفع الظاهر على المبتدأ وإنما يرى أن الخفض يأتي، ولكنّ القياس مجيءُ الضمير ضميرَ رفع كما في قوله تعالى {لولا أنتم}.

ويظهر أنّ المبرد وحده يقف هذا الموقف من سيبويه و من هذا الأسلوب، أما غيره من النحاة فيرى هذا الأسلوب جائزًا كالفراء (٢٠٧هـ) وابن السراج (٣١٦هـ).

قال الفرّاء: "وقد استعملت العرب (لولا) في الخبر، وكثر بها الكلام حتى استجازوا أن يقولوا: لولاك ولولاي، والمعنى فيهما كالمعنى في قولك: لولا أنا ولولا أنت.." ثم أورد شاهدين أحدهما ما ورد عند سيبويه، والثاني هو قول عمرو بن العاص (٤٣هـ):

أتطمع فينـــــا من أراق دماءنا   ولولاك لم يعرض لأحسابنا حسنْ

فالفراء يجيز هذا الأسلوب ويرى أن هذا التحول للضمير إنما كان لكثرة الكلام بلولا الخبرية.(٩)

وذهب ابن السراج إلى أَنّ لولاي ولولاك مما حكي عن العرب ولكنه شيء شذ عن القياس ، وذكر أن شيخه المبرد كان يجري هذا مجرى الغلط، وأن الكلام الفصيح ما جاء به القرآن.(١٠)

فهذان علمان كبيران يقرّان أن العرب تكلمت به، بل إن الفراء يعلل لذلك بكثرة الاستعمال كما ذكرنا، وهذا شأن كثير مما كثر استعمالاً.

وقد انبرى عدد من النحاة يدفعون إنكار المبرد لهذا الاستعمال، أو ينافحون عن يزيد بن الحكم وقصيدته التي راشتها سهام المبرد.

فمن أقربهم للمبرد زمناً ابن كيسان (توفي سنة ٢٩٩هـ) –فيما نقله ابن منظور– الذي يذكر "أنّ المكنيّ بعد "لولا له وجهان: إن شئت جئت بمكنيّ المرفوع فقلت: لولا هو، ولولاهم ،ولولا هي، ولولا أَنْت، وإن شئت وصلت المكنّى بها فكان كمكنيّ الخفض، والبصريون يقولون هو خفض، والفرّاء يقول: وإن كان في لفظ الخفض فهو في موضع رفع، قال: وهو أقيس القولين تقول:لولاك ما قمت، ولولاي ولولاه ولولاهم ولولاها، والأجود

لولا أنت كما قال عزّ وجل {لولا أنتم لكنا مؤمنين} وقال:

ومنزلة لولاي طحت كما هوى   بأجرامه من قُلّة النِّيق مُنْهَوى"[١١]

هذا ما جاء في اللسان، ولعله يوضح نصًّا أورده البغداديّ مما نقله النحاس عن ابن كيسان أنه قال: "الوجه لولا أنت، ولا يجوز أن يكون المضمر خلاف المظهر في الإعراب؛ وهو بدلٌ منه وموضوعٌ موضعه، ولكنّ المكنيَّ مستغن عن دلالته بالحرف الذي يوجب فيه الرفع، ولا يقع منصوب ولا مخفوض، واكتفى بدلالة الحرف من دلالة المكني وكان حرفٌ أخصرَ من حروف قال: وهذا الذي اخترته هو مذهب الفرّاء".[١٢]

وهاهو البغداديّ ينقل عن النحاس في شرح أبيات سيبويه أنه قال:"وأما أبو إسحاق (لعله يقصد الزجاج ٣١١هــ) فجرى على عادته في الاحتجاج عن سيبويه والتصحيح عنه فقال:إن خبر المبتدأ الذي بعد لولا لا يظهر،فأشبهت لولا حروف الجر لوقوع اسم بعدها،وكان المضمر لا يتبين فيه إعراب فجعل موضع المجرور،وهذا احتجاج لطيف (كما يقول النحاس)لم نر أحداً يحسن مثل هذا،وزاد على هذا أنه احتج بقول رؤبة ــ وهو ممن لا تدفع فصاحته ــ :

لولاكما قد خرجت نفساهما"[١٣]

وهو ما عبر عنه الأعلم عند قول الشاعر *وكم موطن لولاي* قال: "الشاهد في هذا البيت إتيان ضمير الخفض بعد (لولا) التي يليها المبتدأ، ولما كان مبتدؤها محذوف الخبر أشبه المجرور لانفراده، والمضمر لا يتبين فيه الإعراب، فوقع مجروره موقع مرفوعه، والأكثر لولا أنت كالظاهر، وردّ هذا المبّرد وسفّه قائله تحاملاً منه وتعسّفًا".[١٤]

وهذا الكلام يشير إلى قضية هامّة وهي أن الأساليب التي تلزم حالة معينة قد يطرأ عليها من التغيير مما يناسب ما تكون عليه من جمود أو لزوم لنمط معين فتخرج بذلك إلى نمط آخر مشابه.

وذكر ابن الشجري (٥٤٢هــ) أنّ المبرد دفع الاحتجاج بهذا البيت (يعني بيت يزيد بن الحكم) وقال: إنّ في هذه القصيدة شذوذًا في مواضع، وخروجًا عن القياس، فلا معرّج على هذا البيت. قال: "وأقول: إن الحرف الشاذ أو الحرفين أو الثلاثة إذا وقع ذلك في قصيدة من الشعر القديم، لم يكن قادحًا في قائلها، ولا دافعًا للاحتجاج بشعره، وقد جاء في شعرٍ لأعرابي[١٥]: *لولاك هذا العام لم أحجج*"[١٦]

وفي موضع أخر ذكر بأنّ الوجه إذا أتيت بالمضمر بعد لولا أن تأتي بالمرفوع المنفصل ثم قال:" وإن شئت جئت بالمتصل المخفوض فقلت: لولاك ولولاي ولولاكم، قال يزيد بن الحكم:

وكم موطن لولاي طحت كما هوى   بأجرامه من قُلَّة النيق مُنْهَوِي

وقال آخر:*لولاك ما صمنا ولا صلَّيْنا*".[١٧]

وهذا الأخير شاهد يضيفه ابن الشجري وكان قد ذكره صاحب الأزهية،[١٨] وقال كلامًا قريبًا مما ذكره ابن الشجري ويحتمل أن ابن الشجري ناقل عنه.

على أن صاحب الأزهية نفسه قد أورد هذا الرجز في موضع آخر على رواية لا شاهد فيها وهي:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا(١٩)

ومرّ معنا أن السيرافي قد قال: ما كان لأبي العباس أن يسقط الاستشهاد بشِعر رجل من العرب قد روى قصيدته النحويون وغيرهم، واستشهدوا بهذا البيت وغيره من القصيدة، ولا أن ينكر ما أجمع الجماعة على روايته عن العرب.

وذكر ابن الأنباري (٥٧٧هـ) أنَّ ما ينكره أبو العباس قد جاء كثيراً في كلامهم وأشعارهم، وهذا الذي يذكر من كثرته في الكلام والشعر يدل على اطلاع ابن الأنباري على ما لم يصل إلينا مما استعمل فيه هذا الأسلوب، ومع هذا فهو لم يذكر من الشواهد الشعرية سوى ما ورد عند سيبويه والفرّاء. والبيت الذي ذكره ابن الشجري وهو قول بعض العرب:

أَوْمَتْ بعينيها من الهودجِ لولاك في ذا العام لم أَحْجُجِ

فمجموع ما ذكره ثلاثة أبيات. لكنّ شهادته بكثرة ذلك في كلام العرب وأشعارهم في غاية القوة ،وأقوى منها شهادة سيبويه والفرّاء.

ثم قال "وأما مجيء الضمير المنفصل بعده نحو: لولا أنا ولولا أنت كما قال تعالى {لولا أنتم لكنا مؤمنين} سبأ:٣١ فلا خلاف أنّه أكثر في كلامهم وأفصح، وعدمُ مجيء الضمير المتصل في التنـــزيل لا يدلّ على عدم جوازه؛ ألا ترى أنه لم يأت في التنـــزيل ترك عمل ما في المبتدأ والخبر نحو: ما زيدٌ قائمٌ، وما عمرو منطلق وإن كانت لغة جائزة فصيحة، وهي لغة تميم... ثم لم يدلّ عدم مجيئها في التنـــزيـــل على أنها غير جائزة ولا فصيحة فكذلك هاهنا والله أعلم".(٢٠)

وللشلوبين (٦٤٥هـ) رأي سجله صاحب الجنى عندما قال "وأنكر المبرد استعمال لولاي وأخواته، وزعم أنه لا يوجد في كلام من يحتج بكلامه، قال الشلوبين: اتفق الأئمة البصريون والكوفيون كالخليل وسيبويه والكسائي والفرّاء على رواية: (لولاك) عن العرب فإنكار المبرد هذيان".(٢١)

وعَدّ ابن عصفور (٦٦٩هـ) في المقرّب (لولا) حرف جرّ يختص بالضمير ووصف إنكار المبرد لهذا الاستعمال بالزعم الباطل، وأورد عن الفرّاء بيت عمرو بن العاص وقول الشاعر: *لولاك هذا العام لم أحجج* وفي شرح الجمل زاد أنّ النحويين حكوا أنّ ذلك لغة للعرب، وأورد ما أنشده الفرّاء ثم قال: "فدلّ ذلك على أنّ ما زعم (يعني المبرد) من أن النحويين إنما أخذوا ذلك من قوله: وكم موطن لولاي...؛ فاسدٌ.(٢٢)

كما ذكر ابن مالك أَنّ من العرب من يقول: لولاي ولولانا ولولاهُنّ، ثم قال: وزعم المبرد أن ذلك لا يوجد في كلام من يحتج بكلامه، وما زعمه مردود برواية سيبويه والكوفيين، وأورد شاهدين أحدهما عن سيبويه والأخر عن الفرّاء(٢٣)

وذكر الرضي (٦٨٦هـ) أن المبرد منع مجيء الضمير المشترك بين النصب والرفع وقال: هو خطأ، قال

الرضي: "والصحيح وروده وإن كان قليلاً" وأثبت بيتي عمر بن أبي ربيعة ويزيد بن الحكم.(٢٤)

وجعل الإربلي (٧٤١هــ) ورود شاهدين أحدهما عند سيبويه والآخر عند الفرّاء –وقد ذكرناهما– مع إخبار سيبويه عن ورود هذا الاستعمال عن العرب ممّا يبطل إنكار المبرد أن هذا لم يوجد في كلام من يحتج بكلامه.(٢٥)

وكان قد ذكر في موضع سابق(٢٦) "أنه صحّ عن العرب أنهم قالوا: لولاي ولولاك إلى آخر الاثني عشر لفظاً".

وإذا صح أن نعدّ بعض هذه الألفاظ ضمائر متصلة فإنّ بعضها الآخر يمكن الحكم عليه أنه منفصل فصورته صورة المتصل، وقد انفصل كتابة عن لولا فعزّ الحكم عليه بالاتصال، وجعله ضميراً منفصلاً أولى، وذلك: لولاهما، ولولاهم، ولولاهُنّ، فصورة الضمير هنا واحدة في المتصل والمنفصل ولا يمكن التفريق بينهما في هذا الاستعمال، ولذلك سنضطر لاستبعاد الشواهد التي يأتي فيها الضمير بعد لولا من الصور الثلاث.

وزاد السيوطي (٩١١هــ) في الشواهد مما لم يرد عند من سبق ذكره قول الشاعر:

أسمعتكم يوم أدعوني مُرَبَّأةً   لولاكم ساغ لحمي عندها ودَمي

وقول الشاعر:

خليليَّ إنّ العامريَّ لغارمُ   ولولاه ما قلّت لديّ الدراهمُ

وقول عبد الرحمن بن حسان (١٠٤هــ):

ولولاهم لكنت كحوت بحْرٍ   هوى في مُظْلِمِ الغَمَرات داجي

ويلاحظ أن السيوطي عدّ (هُمْ) في هذا البيت ضمير جرٍّ متصلاً مع إمكان اعتباره ضمير رفع منفصلاً،(٢٧) ولعله في هذا على سنة النحاة الذين قالوا: ومن العرب من يقول: لولاي ولولانا إلى لولاهنّ وهي عبارة ابن مالك، أو أنه صح عن العرب أنهم قالوا: لولاي ولولاك إلى آخر الاثني عشر لفظاً، وهي عبارة الإربلي،(٢٨) ويدخل في هذا العدد لولاهما ولولاهم ولولاهنّ، ويظهر السهو في هذا والله أعلم.

والظاهر أن المبرد لم يعدّ أن الضمير في هذا البيت ضمير جرّ فلم يعلق عليه بمثل ما علق على بيت أعشى همدان (٨٣هــ).

ويوماً بجَيٍّ تلافيتَه   ولولاك لاصطلم العَسْكَرُ

وهو أحد ثلاثة أبيات أوردها مرتين في الكامل(٢٩) لعبد الرحمن بن حسان هجا بها عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص وهي:

فأمّا قولك الخلفاءُ منّا   فهم منعوا وريدك من وداج

ولولاهم لكنت كحوت بــحْرٍ   هوى في مُظلمِ الغَمَرات داجي

وكنتَ أذلَّ من وتدٍ بقـــاع   يُشَجِّجُ رأسه بالفِهْر واجـــي

ولعل الأولى جعل الضمير هنا ضمير رفع منفصلاً، ويمكن أن يقال ذلك أيضاً عن: قول العباس بن مرداس[٣٠]:

معي ابنا صُرَيمٍ دارعان كلاهما وعُرْوَةُ لولاهمْ لَقِيْتُ الدَّهارسا

وهي رواية الديوان، وجاء في رواية: (لولاه) بدلاً من (لولاهم)، وسنذكرها فيما بعد.

وقول علي بن أبي طالب[٣١] رضي الله عنه (إن صحت نسبته إليه):

عيناك قد دلتا عيناي منك على أشياء لولاهما ما كنت تبديها

وقول حسان بن ثابت[٣٢]:

كِلابٌ وتيمٌ ألصقا ابن أخيهما ولولاهما كانوا عبيد بني بكرِ

وقول الطرمّاح (١١٠هـ)[٣٣]:

فوارس طيّيء منعوه لّما بكى جزعاً ولولاهم لحانا

وقول جرير (١١٠هـ)[٣٤]:

ألستم لئاماً إذْ ترومون جاركم ولولاهمُ لم تدفعوا كفَّ لامسِ

وكذلك قول الفرزدق(١١٠هـ)[٣٥]:

هم يعدلون الأرضَ لولاهمُ استوت على الناس أو كادت تسيرُ فتُنْسَفُ

وكذلك قول الأخطل (٩٠هـ)[٣٦]:

ولولاهم يا ابن المراغة، كنتمْ لَقًى، بين أطراف القنا للسنابكِ

وقوله أيضاً[٣٧]:

أَتَشْتِمُ قوماً أَثَّلُوك بدارمٍ ولولاهُمُ كنتم كعُكْلٍ، مواليا؟

وقول يزيد بن المفرّغ (ت٦٩)[٣٨]:

لولاهُمُ كان سلاّمٌ بمنزلتي أوْلى لهم ثم أوْلى بعدما ظفروا

وقول عروة بن أذينة (١٣٠هـ)[٣٩]:

ولولاهم لم يهتد الناس دينهم وضلّوا ضلال النِّيب تعوي سقابها

فهذه عدّة أبيات مّما وجدته في الشعر لا أظن أنّه من الصواب حملها على اللغة التي وصفت بالشذوذ عند المبرد، أو بأنها لغة تتكلم بها العرب عند جمهور عريض من العلماء؛ لإمكان حملها على الفصيح.

على أنّه مّما يؤكد سلامة رأي النحاة الذين ردّوا على المبرد ادعاءه اللحن في مثل هذا الاستعمال ما جاء في مصادر عدّة من أبيات أكثرها لا مدخل للشك في صحته وصحة الاستشهاد به وهي:

□ قول عبيد بن الأبرص (جاهلي)[٤٠]:

وركضك لولاه لقيت الذي لقوا فذاك الذي أنجاك مما هنالكا

من قصيدة مطلعها:

تعفّت رسوم من سليمى دكادكا   خلاء تعفّيها الرياح سَواهكا

□ وينسب لعنترة[٤١]: وأشك في صحة نسبة القصيدة على الرغم من ذكر عبلة فيها، وذلك لعدم مثل (لولاك) في الشعر الجاهلي تقريباً، ولأن الشعراء لا يذكرون للحجاز نسيماً، وإنما النسيم من غيرها كنجد والشمال.

يا نسيم الحجاز لولاك تُطفى   نارُ قلبي أذاب جسمي اللهيبُ

من قصيدة مطلعها:

حسناتي عند الزمان ذنوب   وفَعالي مذمّةٌ وعيوبُ

□ وقد مرّ معنا مما نسب إلى أحد الصحابيين عامر بن الأكوع وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهما:

لولاك ما صمنا ولا صلّينا[٤٢]

وفيه روايات لا شاهد فيها، انظرها في كتب الحديث.

□ وجاء في اللسان بيت العباس بن مرداس الذي ذكرناه من قبل على النحو التالي:

معي ابنا صريمٍ دارعان كلاهما   وعزرةُ لولاه لقينا الدهارسا

والرواية نفسها في التاج (دهس)، وفيهما قبل البيت (أنشد يعقوب).[٤٣]

□ ومرّ أيضاً قول عمرو بن العاص (٤٣هـــ):

أتطمع فينا مَنْ أراق دماءنا   ولولاك لم يعرض لأحسابنا حَسَنْ[٤٤]

□ وقال قيس بن الملوّح (٦٨هـــ)[٤٥]:

معذبتي لولاك ما كنت هائماً   أبيت سخين العين حَرَّان باكيا

□ وينسب إليه أيضاً[٤٦]:

معذبتي لولاك ما كنت سائلاً   أدور على الأبواب في الناس عاريا

وقول أعشى همدان (٣٠-٨٣هـــ):

ويوماً بِجَيٍّ تلافيته   ولولاك لاصطلم العَسْكَرُ[٤٧]

□ وقول المغيرة بن حبناء التميمي (٩١هـــ)[٤٨]:

أيّام سابور إذْ ضاعت رَباعَتَهمْ   لولاه ما أوطنوا داراً ولا انتقموا

□ وقول عمر بن أبي ربيعة (٩٣هـــ):

أومت بعينيها من الهودج   لولاك في ذا العام لم أحججِ[٤٩]

وقول يزيد بن الحكم (١٠٥هـــ) وهو ما ذكره سيبويه:

وكم موطن لولاي طحت كما هوى   بأَجرامه من قُلَّةِ النِّيْقِ مُنْهَوِي[٥٠]

□ وقول محمد بن بشير الخارجي وهو شاعر حجازي مطبوع من بني خارجة من قيس عيلان من مضر

(أموي)[٥١]:

صددتِ امرأً من ظلّ بيتك مَالَهُ   بواديه لولاكم صديقٌ ولا أهلُ

□ وقول الشاعر:

أسمعتكم يوم أدعوني مربّأة   لولاكم سَاغ لحمي عندها ودمي

وفيه تحريف، وقال الشـــنقيطيّ في الدرر "لم نعثر على من خوطب به ولا قائله".[٥٢]

وهو للأخطل وروايته في شرح الديوان[٥٣]:

أسْمَعْتُكم يومَ أدْعو في مُوَدَّأةٍ   لولاكم شعَّ لحمي عندها ودمي

□ وأما قول الشاعر

خليليَّ إنّ العامريّ لغارِمُ   ولولاهُ ما قلّت لدي الدراهم

فقد قال الشنقيطي "قال أبو حيان: ويحتمل أن يكون فلولاه من باب (فبيناه يشري) أي: فبينا هو يَشْري –ولم نعثر على قائله–".[٥٤]

وكأن أبا حيان يبطل الاستشهاد بمثل هذا البيت (أعني قوله: خليلي إن العامري ...)، ويجعل الضمير هنا الضمير المنفصل (هو) وحذفت واوه لضرورة الشعر كما في بيت الكتاب[٥٥]:

فبيناه في دار صدق قد أقام بها   حيناً يُعـلّلُنا وما نعلّلـــــه

وهنا نجد أنه من الأولى حمل (لولاه) في البيت على ما هو من لغة العرب بدلاً من جعله من باب الضرورة.

وقول رابعة العدوية (ت١٣٥ وقيل ١٨٠، ١٨٥)[٥٦]:

أنت لولاكَ يا حياتي وأُنْسي   ما تَشَتَّتُ في فسيح البلادِ

□ وقول الراجز وهو منسوب لرؤبة (١٤٥هـ)[٥٧]:

لولاكما لخرجت نفساهما

□ وقول الشاعر (مجهول)[٥٨]:

دامنَّ سعدك إن رحمت متيماً   لولاك لم يك للصبابة جانحا

□ وقول مطيع ابن إياس الكناني (١٦٩هـ)[٥٩]:

أوطَنْتُ بغداداً بحبكمُ   وبغيرها لولاكُمُ الوطنُ

□ وقول السيد الحميري (١٧٣هـ)[٦٠]:

والوصيّ الذي به تثبت الأرضُ   ولولاهُ دكْدِكَتْ كالرميم

□ وقول إبراهيم بن هرمة القرشي (٩٠-١٧٣هـ)[٦١]، قال عنه الأصمعي "ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة

وهو آخر الحجج":

ومكاشحٍ لولاك أصبح جانحاً   للسِّلْم يَرْقَى حيَّتي وضِبابي

وهذا البيت مثبت في صحيح شعره. يرقى: يتعوذ، الضِّباب: جمع ضَبٍّ، وهو: الحقد والضِّغْن.

□ وعند بشار (١٦٧هـــ)[٦٢]، وقد قيل: إنّ سيبويه استشهد بشعره تقرباً إليه كما ذكره المرزبانيّ وغيره:

قد كان لولاكَ يا مهديَّ أمّتِه   بالحَمْدِ أجمعَ والمعروفِ ينفرد

وورد الضمير المنفصل بعد لولا مرتين في شعره[٦٣]:

١-يلبّي قبـــــلةَ الأَزْدِ   ولولا أنت مـــا لَبَّى

٢-وصومي لك عنهن   ولولا أنت ما صمته

□ وعند العباس بن الأحنف (١٩٢هـــ)[٦٤]:

١-يا زَيْنَ مَنْ ولدت حوّاءُ من وَلَدٍ   لولاكَ لم تَمْلُحِ الدنيا ولم تَطِبِ

٢-وأرى الكواعبَ يَغْتَنِمْنَ وسائلي   لولاكِ كان لبعضهُن تَوَدُّدي

٣-يا فوزُ لولاكِ لم أنْفَكَّ من طَرَبٍ   آوي إلى آنساتٍ كالدُّمَى حُوْرِ

٤-فلولاك ما زينتُ نفسي بزينة   ولولاكِ ما ألفت حرفاً على حرفِ

٥-ولولاكِ لم آت الحجازَ وأهلَها   ولم تزو عني بالعراق الكرائمُ

□ وعند الحسن بن هاني أبي نواس (١٣٦-١٩٥هـــ)[٦٥]:

١-لله درّى أيُّ رهْنِ منيّةٍ   بالأمسِ كُنْتُ وهالكٍ لولاكا

٢-ما خاب عبدٌ سألكْ   أنت له حيثُ سلكْ

لولاك يا ربِّ هَلَكْ

□ وقول أبي الشيص الخزاعي (١٩٦هـــ)[٦٦]:

يا ابنه عمّ المسك الزكيّ ومن   لولاك لم يُتَّخذْ ولم يَطِبِ

□ وعند الشافعـــــي (٢٠٤هـــ)، وقد قيل عنه: كلام الشافعي في اللغة حجّة[٦٧]:

فلولاك لم يَصْمُدْ لإبليسَ عابد   فكيف وقد أغوى صفيَّك آدما

□ وعند صريع الغواني (٢٠٨هـــ)[٦٨]:

كَلَّفْتُ أهوالَها عَيْناً مُؤَرَّقَةً   إليك لولاكَ لم تُكْحَلْ بِتَسْهيدِ

□ وعند أبي تمام (٢٣١هـــ)[٦٩]، وهو من طبقة المولدين الذين قال عنهم البغدادي: فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً، وقيل: يستشهد بكلام من يوثق به منهم، واختاره الزمخشريّ، وتبعه الشارح المحقق (يقصد الرضي)؛ فإنه استشهد بشعر أبي تمام في عدّة مواضع من هذا الشرح، واستشهد الزمخشريّ أيضاً في تفسير أوائل البقرة من الكشاف ببيت من شعره، وقال: وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من

علماء العربية؛ فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه؛ ألا ترى إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة، فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه":

١–تصارعُه لـــــولاك كُلُّ مُلِمَّـــةٍ ويعدو عليه الدهر من حيث لا يَعْدُو

٢–وأصّلت شعري فاعتلى رونق الضحى ولـــولاك لم يظهر زماناً من الغِمْدِ

٣–ورفّعْتَ طرفاً كان لـــولاك خاشعاً وأوردتَ ذودَ العِـــزِّ في أوَّلِ الوِرْدِ

٤–لــــــولاكَ عزَّ لقاؤه فيما بقي أضعـــاف ما قدْ عزَّني فيما مضى

٥–لــــولاك كانت ثَلْمَةً لم تَنْسَدِدْ أبداً وكانت عُـــــدَّةً لم تَكْمُلِ

٦–حبا بك الله مَنْ لـــولاك لا نبعَثَتْ فيه اللـــيالي ومنها الوَخْدُ والرَّمَلُ

٧–لـــــولاه لم تكن النبوَّةُ ترتقي شرفَ الحجـــاز ولا الرسالةُ تُتْهِمُ

٨–يا ابن المسيَّبِ قولاً غيرَ ما كذبٍ لـــولاك لم يُدْرَ ما المعروفُ والكرمُ

٩–فأصبح لي تحت الجرانِ فريســـةً ولـــولاكـــما أصبحت تحت جرانه

١٠–لولاك لم أخلع عنانَ مدائحي أبداً ولم أخلـــع عِنان تَشَكُّرِي

١١–زائرٌ زارني فهـــاج خيالا كنت لـــولاه أســـوأ الناسِ حالا

وورد الضمير المنفصل بعد لولا في شعره مرتين:

١–أبا الليث لولا أنت لا نصرم الندى وأدركت الأحداثُ ما قد تمنّت

٢–أهاشمُ صـــار الدمعُ ضربةَ لازم وما كان لـــولا أنت ضربةَ لازم

أمّا لولا وبعدها الاسم الظاهر فقد جاءت في أكثر من خمسين موضعاً .

□ وقال علي بن الجهم (٢٤٩هـــ) وهو من البادية كما قيل عنه[٧٠]:

ولَهْفَةِ مظلومٍ تمنّــــــاكَ حاضراً   وقد ذُعِرَت أسرابُه وســــــوارحُهْ
فجئتَ تخوضُ الليلَ خوضاً لنصرِه   ولولاك لم يَدْفَع عن السَّرْح سارحُه

□ وعند البحتري (٢٨٤هـــ)[٧١]:

١–وفريضةٍ أنــت اسْتَنَنْتَ بديئهـــا   لولاك ما كُتِبَتْ على الكُتّـــابِ
٢–لولاك خاضَ الناس في فِتْنـــــةٍ   ترمي بدُفَّـــــاعٍ وأمـــــواجِ
٣–وقد جَزِعَت جلَدٌ ولولاك لم يكن   ليجزعَ من صرف الزمان جليدُها
٤–وردّ تدبيرُك الدنيا وقد صلَحــت   عفواً ولولاك لم تَصْلُح ولم تَكَــدِ
٥–ولولاك ما أسخطت غُمَّى وروضها   ونَهرَ دجيل بالذي رضي الثَّغْــــرُ
٦–ولولاكَ ما رُمْتُ القطيعةَ بعدمــا   وقفت عليهـــا وَقْفَةَ المُتَحَيِّـــــرِ
٧–ولولاه طُلَّتْ بالعقوق دماؤكــم   فلا قَوَدٌ يُعْطَى الأذلُ ولا عَقْــــلُ
٨–وكواكبٍ أَشْرَقْنَ من أبنائــــــه   لــولاك قد أَفَلَ الندى بأفولهـــا
٩–لولاك كان على الكُفَــير ممرُّنا   واليَشْــرِبيَّة أو على تَرْحِيـــنـــا

ولم ترد لولا وبعدها الضمير المنفصل إلاّ في قوله:

خلائق لولاهنّ لم تلق للعلا   جماعاً ولا للسؤدد النشر مجمعا

أمّا هي وبعدها الاسم الظاهر فقد جاءت فيما يقارب مائة موضع.

وهؤلاء جميعاً ممن يحتج بشعره أو لا يحتج –حسب تصنيف النحاة– سبقوا المبرد أو عاصروه ومع هذا ينكر أنّ العرب تقول ذلك!.

□ وعند المتنبي (٣٠٣–٣٥٤هـــ): وهو من هو سيرورة شعر.[٧٢]

١–إلى ذي شِيْمةٍ شَغَفتْ فــؤادي   فلولاه لقلتُ بها النَّسيبا
٢–تالله ما علم امرؤٌ لولاكـــــم   كيف السخاءُ وكيف ضَرْبُ الهـــامِ
٣–يا وجهَ داهيةِ التي لولاك مــا   أكل الضَّنَى جسدي ورَضَّ الأعظما
٤–لولاكَ لم أتركِ البحيرةَ والــ   غَوْرُ دفِيءٌ وماؤهـــــــــا شَبِمُ
٥–فلولاكَ لم تجرِ الدماء ولا اللُّها   ولم يكُ للدنيا ولا أهلِها مَعْنِـــــى

هذه خمسة أبيات من أربعين بيتاً جاءت فيها لولا الامتناعية التي سبقت الاسم الظاهر في ثلاثة وثلاثين بيتاً، ولم تسبق الضمير المنفصل إلا في بيت واحد هو:

وما كنت لولا أنت إلاّ مهاجراً   له كلَّ يوم بلدةٌ وصحابُ[٧٣]

□ وعند أبي فراس (٣٥٧هـــ)[٧٤]:

١–وما كان للأحزان لولاك مسلكٌ إلى القلب لكنّ الهوى للبِلَى جِسْرُ

وهو من رائيته المشهورة "أراك عصيّ الدمع"

٢–وما كان –لـــــولاه لينفعَ أوّلٌ إذا لم يزيّن أوّلَ المجــــــدِ آخرُ

٣–ودَى مئةً لولاه جرَّتْ دمــاؤهم مـــواردَ موتٍ مالهــــنّ مصادرُ

وهما من قصيدة واحدة ،مطلعها:

لعلَّ خيالَ العامريّـــــــة زائرُ فيُسعدَ مهجــــور ويُسعدَ هاجر

٤–لولاك يا ظبية الأنس التي نظرت لَمّـــا وصلن إلى مكروهيَ الحَدَقُ

وجاء الضمير المنفصل بعدها في موضع واحد:

فلولا أنت ما قلقت ركابي ولا هبّت إلى نجد رياحي

وجاء الاسم الظاهر بعدها في ثمانية مواضع.

□ وعند أشهر المعاصرين الملتزمين بعمود الشعر مثل شوقي (١٣٥١هـ)(٧٥):

–في قصيدة"كبار حوادث النيل":

١–يا زمان البحار، لولاك لم تفـــ ـــجع بِنُعْمى زمانها الوجناءُ

–وفي قصيدة"ذكرى المولد النبوي":

٢–فلولاها لساوى الليثُ ذئباً وساوى الصارمُ الماضي قِرابا

–وفي قصيدة"نجاة":

٣–فلولاك ملكُ المسلمين مضيّع ولولاك شَمْلُ المسلمين شتاتُ

–وفي قصيدة"نهج البردة":

٤–لولاه لم نر للدولات في زمن ما طال من عَمَدٍ أوْ قَرَّ من دُعُمِ

–وفي قصيدة "شكسبير":

٥–لم تكشف النفس لولاه،ولا بُليت لها سرائرُ لا تُحْصَى وأَهْواءُ

–وفي "تحلية كتاب":

٦–قسماً، لولاه لم يبقَ بـــــــها رَجُلٌ يقرأُ أو يَدْرِي الكتابا

–وفي قصيدة رثاء عمر بك لطفي:

٧–لولاك ما عرفوا التعاون بينهم فيما يسُرُّ ولا على ما كَدَّرا

–وفي قصيدة تكريم" خليل مطران":

٨–أم للمواقفِ لم يَقِفْها ضَيْغمٌ لولاك لاضطربت له الأهرامُ

هذا في الشوقيات،ولم أنظر في شعره المسرحي ،ولم أعثر على لولا مع الضمير المنفصل،ولكنها مع الاسم الظاهر صريحاً أو مؤولاً جاءت في خمسين موضعاً تقريباً.

□ وعند حافظ إبراهيم (١٣٥١هـــ)(٧٦):

في قصيدة يهنيء فيها الخديوي عباس الثاني:

١–عابوا سكوتي ولولاه لما نطقوا ولا جَرَتْ خَيْلُهم شَوْطاً بميدانِ

وفيها أيضاً:

٢–وانظر إلى أُمَّةٍ لولاك ما طلبت حقّاً ولا شَعَرْت حُبّاً لأَوْطانِ

وفي قصيدة أخرى يهنيء فيها الخديوي نفسه:

٣–العَجْزُ أَقْعدني وإنّ عزائمي لولاكما فوقَ السِّماكِ تُحَلِّقُ

وفي مدح عمر بن الخطاب:

٤–وأُطْفِئت فِتنةٌ لولاك لاستعَرت بين القبائلِ وانسابت أفاعيها

وفي قصيدة إلى الدكتور علي إبراهيم باشا:

٥–لولاكما لاندكَّ صَرْحُ العلا وانحدر البدرُ عن الأُفْقِ

وفي قصيدة لجمعية الطفل:

٦–لم يكونوا ليدركوا المَجْدَ لولا كنّ أو يَسْلكوا سبيل المعالي

وهكذا يثبت لدينا صحة هذا الاستعمال بما ورد من الشعر، وبما روي عن العرب مما نصّ عليه ومما لم يرد فيه نص؛ ولكنه خبر عن ثقات عرفوا أن العرب تتكلم به أسلوباً مقبولاً في النثر، وتابعهم في ذلك شعراء فحول، كان من رأي بعض العلماء الاحتجاج بشعرهم؛ فهم على مذهب العرب يتكلمون، وعلى منوالهم ينسجون،ثم جاءت بعدهم أمة من الشعراء عبر العصور إلى عصرنا هذا استعملت لولا متصلة بالضمير بأكثر من استعمالها لها وبعدها الضمير المنفصل.

أما مجيء الاسم الظاهر بعدها صريحاً أو ممّا يؤول به فحدِّثْ ولا حرج؛ فهو الثابت والشائع في الشعر الجاهلي وما بعده إلى يومنا هذا .

وبناء على قراءات واسعة في الشعر العربي وعلى استعراض لعدد كبير من المجموعات الشعرية والدواوين وبالنظر في أضخم موسوعة مفهرسة للشعر العربي، وهي الموسوعة الشعرية التي حوت أكثر من مليون ومائتي ألف بيت لأكثر من ألف شاعر يمكن تسجيل الملحوظات التالية:

١–أن استعمال لولا الامتناعية بصفة عامة قلّ في الشعر الجاهلي بالنسبة لما كان في الشعر الأموي وما بعده؛ فلم ترد إلا مرة واحدة في المعلقات(٧٧) على سبيل المثال، ومرّة في ديوان امرئ القيس(٧٨)، ووصلت إلى

سبع مرات عند النابغة الذبياني، ولم أجد مثل هذا العدد عند غيره[٧٩] ممن استعرضت دواوينهم. وقلّ أيضاً في شعر المخضرمين، ولكنه بدأ يكثر في شعر كبار شعراء العصر الأموي كجرير الذي وردت عنده (لولا) في اثنين وأربعين موضعاً كلها امتناعية، ومنها موضع واحد للولا وبعدها الضمير المنفصل ذكرناه فيما سبق. والفرزدق وردت في شعره سبعاً وأربعين مرّة، ومنها مواضع للولا مع الضمير المنفصل، وكلها امتناعية. والأخطل وردت عنده في اثنين وعشرين موضعاً، منها موضع واحد كانت تحضيضية، وبقية المواضع امتناعية، منها خمسة مواضع للولا مع الضمير الذي جاء منفصلاً في أربعة، ومتصلاً في موضع واحد. هذا حسب إحصائي الذي أرجو أن يكون دقيقاً.

ورؤبة استعملها فيما أحصيت منها ست عشرة مرة، منها أربع مرات تحضيضية، والباقي امتناعية؛ في عشرة أبيات جاء الاسم الظاهر بعد لولا، وفي بيتين بعدها الضمير المنفصل.

٢–أن استعمال (لولا) التحضيضية لا يكاد يظفر به الباحث إلاّ في أبيات قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة في كل عصر من العصور، والدليل على ذلك أنها في شعر الشعراء الثلاثة الكبار الأمويين لم ترد إلاّ مرّة واحدة عند الأخطل.

٣–أن مجيء الاسم الظاهر بعد لولا هو الشائع والكثير كما كان في القرآن، أما لولا مع الضمير المنفصل فهو قليل في قديم الشعر وحديثه، وأكثر منه بكثير مجيء الضمير المتصل، وفعل الشعراء هذا قد يفسّر سيادة هذا الاستعمال في الشعر الحديث والعاميات.

٤– وقد حان الآن محاولة معرفة ما إذا ورد هذا الأسلوب في النثر ومنه الحديث أو أنه لم يرد. فأول ما أقول أنه استحال الظفر بهذا الأسلوب في النثر الفصيح؛ وذلك لعدم الوسيلة المعينة على الوصول إليه، ولأن النحاة والرواة لم يسجلوا لغة الخطاب الدارج بين العرب الفصحاء، وكانوا يكتفون بالإخبار أن العرب كانت تقول كذا وكذا، دون إيراد نصوص نثرية فيها ذلك، عدا نصوص الشعر، ولعل هذا ما فعله سيبويه بالنسبة لهذا الأسلوب. ومع هذا فإن الثقة بما قاله النحاة من استعمال العرب له دون تخصيص ذلك بالشعر–في محلها.

أما الحديث الشريف وما تزخر به كتبه من المأثور المنسوب إلى الفصحاء من الصحابة وغيرهم فهذه لمحة عمّا يمكن أن نجده فيه، ولكن قبل هذا أشير إلى أنه يعلم المختصون موقف النحاة واللغويين من الاستشهاد بالحديث في قضايا اللغة والنحو، ويعلمون أيضاً ما قرره مجمع اللغة العربية بمصر من حجية الحديث في ضوء عدّه اشتراطات مما لا حاجة إلى ذكره هنا[٨٠]، وفي هذا المقام سأخرج عمّا اشترطوه وسأورد ما جاء في الحديث من هذا الأسلوب استئناساً لا استشهاداً، مع التعليق بما يفيد إن شاء الله. وإليك البيان:

أولاً: أنّه في تسعة كتب من أصح كتب الحديث مما فهرس وبرمج في الحاسوب لم أجد لهذا الأسلوب أثراً لا في كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولا في الآثار المروية عن أصحابه في الكتب التسعة وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن أبي داود وسنن ابن ماجة ومسند أحمد وموطأ مالك وسنن

الدارمي. علماً أنني قد تصفحت صحيح البخاري ومسلم حديثاً حديثاً إلى جانب الاستعراض الآلي زيادة في التأكد.

ثانياً: أنّ ورود الضمير المنفصل بعد لولا لم يرد إلاّ في مواطن قليلة، وأكثر ما يجي بعدها الاسم الظاهر وما يؤول به، ولا حاجة إلى عرض ذلك عدّاً وتفصيلاً لطول الكلام به.

ثالثاً: فيما عدا الكتب التسعة وبواسطة الحاسوب عثرت على الأحاديث التالية:

١- عن العباس بن عبد المطلب قال: "يا رسول الله: هل نفعت أبا طالب؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: هو في ضحضاح من النار ولولاي لفي الدرك الأسفل". هذا الحديث في مسند أبي يعلي الموصلي (٢١٠-٣٠٧هـــ).

ويلاحظ عدّه أمور هي:

أ- قِدَمُ المسند وتقدمُ زمن مصنفه.

ب- وأنّ محقق المسند خرّج الحديث وذكر أن إسناده صحيح وأنّه تقدم برقم ٦٦٩٤، ٦٦٩٥.

ج- وأنّي عندما راجعت ما تقدم وجدته بروايتين الأولى جاء فيها "إنه لفي ضحضاح ولولا أنا لكان لفي الدرك الأسفل" وهذا اللفظ جاء قريباً منه في صحيح البخاري قال صلى الله عليه وسلم "هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل" (٣٨٨٣) وفي موضع آخر "نعم هو إلخ..." ورقمه ٦٢٠٨.[٨١] وفي صحيح مسلم رقم (٣٥٧) ،والرواية فيه"نعم هو في ضحضاح ..إلخ[٨٢]، وفي مسند أحمد ١٧٦٣، ١٧٧٤ كمثل ماسبق تقريباً[٨٣] إذ لم يرد بعد لولا إلّا الضمير المنفصل.

أما الرواية الثانية في مسند أبي يعلى فكان اللفظ :"وجدته في الغمرات من النار فأخرجته إلى الضحضاح" ولا وجود فيها للولا ولا الضمير، وهي موافقة إلى حدّ ما لما جاء في مسلم، قال صلى الله عليه وسلم "وجدته في غمراتٍ من نار فأخرجته إلى الضحضاح"، في حين أن الرواية الأولى وافقت ما في كتب الصحاح، وجاءت على القياس من مجـــيء الضمير المنفصل بعد (لولا).[٨٤]

د- ويلاحظ عدم وجود (كان) في جواب لولا في هذه الرواية "لفي الدرك الأسفل" ،والمعروف أن لولا تربط بين جملتين اسمية وفعلية غير محذوفة الفعل والرواية هنا أيضاً مخالفة لغيرها؛ فكل الروايات: لكان في الدرك الأسفل.

٢- جاء في أحكام القرآن لابن العربي عند قوله تعالى {واتخذ سبيله في البحر عجباً} الكهف ٦٣ :قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فصار الماءُ على الحوت مثل الطاق؛ ليكون ذلك علامة لموسى، ولولاه ما علم أين فقد الحوت ولا وجد إلى لقاء المطلوب سبيلاً".[٨٥] كذا قال ابن العربي، وقد يظن أن هذا الكلام كله حديث والذي أراه أن ما هو حديث هو عبارة: (فصار الماء على الحوت مثل الطاق) وأما ما بعدها وهو قوله (ليكون ذلك علامة لموسى ولولاه... إلخ) فهو من كلام ابن العربي، وهذا للأسباب التالية:

أ- أنّ ابن العربي أورد قبل هذا بصفحات[٨٦] حديثاً طويلاً عن ابن عباس عن أبيّ رضي الله عنهما

جاءت فيه عبارة "وأمسك الله عنه جِرْية الماء حتى كان مثل الطاق"، وهو حديث له مثيل في صحيح البخاري برقم ٣٤٠١، ولعل ابن العربي عندما أراد شرح قوله تعالى {واتخذ سبيله في البحر عجبا} أعاد ما قاله صلى الله عليه وسلم بمعناه دون لفظه، وعقّب على الحديث بالعبارة التي استعمل فيها لولاه.

ب- أنّ ما أورده على أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله لم يثبت منه في كتب الحديث التسعة إلا مضمون عبارة (فصار الماء على الحوت مثل الطاق) مع اختلافهم في الألفاظ أحياناً، ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاري في الحديث رقم ٣٤٠١، "فأمسك الله عن الحوت جِرْيَةَ الماء فصار مثل الطاق" وفي الحديث رقم ٤٧٢٥، "وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه كالطاق" وفي الحديث رقم ٤٧٢٧، "فرجعا يقصان في آثارهما فوجدا في البحر كالطاق ممرّ الحوت".

٣- جاء في كشف الخفاء حديثان أولهما "أتاني جبريل فقال: يا محمد: لولاك ما خلقت الجنّة ولولاك ما خلقت النار" قال صاحب الكشف رواه الديلمي عن ابن عمر، وهذا الحديث وما بعده من تعليقٍ منقولٌ بنصه من كنز العمال.[٨٧]

٤- وثانيها: أيضاً "لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك" وقال صاحب الكشف: "قال الصغاني موضوع"، وأقول: معناه صحيح وإن لم يكن حديثاً[٨٨]، كذا قال صاحب الكشف.

٥- جاء في كنز العمـــال "لولاك يا عليّ ما عرف المؤمنون من بعدي".[٨٩]

وهذه الأحاديث يظهر أنها ضعيفة ولا حجّة فيها لا لغوية ولا شرعية ولكنها تصلح أمثلة على أسلوب روي عن بعض العرب، وقد حاولت تخريجها فلم أتمكن من ذلك.

٦- جاء في بلغة السالك للصاوي "ورأى آدم نور محمد في سرادق العرش واسمه مكتوباً عليها مقروناً باسمه تعالى فسأل الله عنه فقال له ربّه: هذا النبي من ذريتك، واسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد، ولولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضاً، وسأله أن يغفر له متوسلاً بمحمد صلى الله عليه وسلم فغفر له"[٩٠]

وانظر ما ذكره الألباني في سلسة الأحاديث الضعيفة الحديث ٢٥، والرواية للحديث كما ذكرها الألباني تختلف عمّا هنا، وبخاصة في العبارة المقصودة إذْ هي في الحديث عنده: ولولا محمد ما خلقتك، فجاء الاسم الظاهر بعد لولا، لا الضمير المتصل وقال الألباني "وجملة القول أنّ الحديث لا أصل له عنه صلى الله عليه وسلم فلا جرم أن حكم عليه بالبطلان الحافظان الذهبي والعسقلاني" إلخ... ما قال.[٩١]

٧- جاء في أدب الدنيا والدين قوله: وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الأمل رحمة من الله لأمتي ولولاه لما غرس غارس شجراً، ولا أرضعت أمٌّ ولداً" وقد جاء في تاريخ بغداد ونصه "إنما الأمل رحمة من الله لأمّتي لولا الأمل ما أرضعت أمّ ولداً ولا غرس غارس شجراً" ولا شاهد فيه على مانحن فيه بهذه الرواية .وذكر د:بشار عواد أنه موضوع، وقال الخطيب نفسه بعد أن أورد الحديث ومعه غيره: "قلت: وهذه الأحاديث الثلاثة بهذا الإسناد باطلة؛ لا أعلم جاء بها إلا محمد بن إسماعيل الرازي "انتهى كلام البغدادي ، وبيّن مرتبة

الحديث وخرجه د: خلدون الأحدب تحت رقم **١٣٥**.[٩٢]

هذا عن الحديث أما المأثور فقد جاء في كتر العمال **٤٣٤٣** و**٤٣٤٤** ما ملخصه أن خالد بن الوليد وعمار بن ياسر تنازعا حتى تشاتما من أجل إجارة عمّار لأحد المسلمين من قوم غزاهم خالد، وعندما علم الرسول أجاز أمان عمّار، ونهى يومئذٍ أن يجير أحد على أمير، فتشاتما عند رسول الله فقال خالد: يا رسول الله أيشتمني هذا العبد عندك، أمّا والله لولاك ما شتمني، فقال نبي الله: كفّ يا خالد عن عمّار فإنه من يبغض عمّاراً يبغضه الله إلخ... وتكررت هذه القصة عن ابن عباس تحت رقم **٤٣٤٤**.[٩٣]

وأضيف فائدة هنا وهي أن هذا الاستعمال ورد في عبارات العلماء الفقهاء والأصوليين وغيرهم؛ فبالبحث في جامع الفقه الإسلامي وجدت أن (لولاه) وردت في أكثر من **٢٩٠** مرّة في كتب شتى ولكن لم أجد لولاي ولولاك ولولاكما ولولاكم وهكذا.

وسأورد عبارات وردت عند ابن حجر في فتح الباري ولا أستطيع الجزم بأنها من كلامه أو من كلام من ينقل عنهم، ولكنها عبارات جاءت في كتب انكب عليها العلماء قراءة ودراسة.

جاء عند الحديث رقم **٦٦٩٤** قوله "ولكن النذر قد يوافق القدر فيخرج من البخيل ما لولاه لم يكن ليخرجه".[٩٤]

وجاء أيضاً "وحكى صاحب النهاية أن التأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي على ما لا يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ" وهذا بعد الحديث رقم **٧٥٥٤**.[٩٥]

وعند قوله تعالى {والله خلقكم وما تعلمون} بعد الحديث **٧٥٥٩** قال: "فكيف يعبد المخلوق مع أن العابد هو الذي عمل صورة المعبود، ولولاه لما قدر أن يشكل نفسه".[٩٦]

المسألة الثانية: الموقع الإعرابي للضمير المتصل بلولا

عني النحاة بالموضع الإعرابي للضمير المتصل بلولا، وكان لهم اتجاهان في هذا، وما كان ذلك إلا تعلقّاً منهم بمقولة العامل، فهذا ضمير متصل لا يكون إلاّ في موضع النصب أو الجرّ قد حلّ محل اسم ظاهر لا يكون إلاّ مرفوعاً مبتدأ على رأي البصريين، أو فاعلاً بفعل مقدر، أو بلولا نائبة مناب الفعل على رأي بعض الكوفيين.[٩٧]

وكان الأقيس أن يأتي في موضع الاسم الظاهر المرفوع ضمير رفع منفصل ،وهذا ما كان في القرآن في موضع واحد، ولكنّ سيبويه وغيره أخبروا أنّ العرب تأتي بالضمير المتصل بعد لولا، ولهم في ذلك شواهد شعر ذكرنا جملة منها فيما سبق، أما شواهد النثر مما يكون من لغة الخطاب اليومي فلم يسجله النحاة، ولعل تتبع أقوال وخطب العرب مما دوّن يوصل إلى شيء، ولكن دون ذلك خرط القتاد.

وفي الموقف من هذا الضمير خط سيبويه لمن بعده من النحاة أحد هذين الاتجاهين بقوله "باب ما يكون فيه الاسم متحوّلاً عن حاله إذا أظهر بعده الاسم وذلك لولاك ولولايَ إذا أضمرت الاسم جُرَّ، وإذا أظهرت رُفِعَ"[٩٨] واستدل على الجر بأنّ "الياء والكاف لا تكونان علامة مضمر مرفوع".[٩٩] ورفض فكرة موافقة ضمير الجرّ ضمير الرفع في (لولاي)، وموافقة ضمير النصب ضمير الرفع في عساني وقال: إن ذلك لا يستقيم، وردّ ما زعمه ناس من أنّ الياء في لولاي وعساني في موضع رفع، ووصفه بالوجه الرديء.[١٠٠]

ونسب نحاة إلى سيبويه الجرّ بلولا منهم ابن معط، وجعله ابن هشام مذهب سيبويه والجمهور، وأنها جارة للضمير مختصة به.

وقد أحسن ابن مالك توضيح مذهب سيبويه عندما قال: "ومذهب سيبويه في ياء لولاي وكاف لولاك وشبههما أنهما في موضع جرٍّ بلولا؛ لأن الياء وأخواتها لا يعرف وقوعها إلاّ في موضع نصب أو جرّ، والنصب في (لولاي) ممتنع؛ لأن الياء لا تنصب بغير اسم إلاّ ومعها نون الوقاية وجوباً أو جوازاً، ولا تخلو منها وجوباً إلا وهي مجرورة، وياء لولاي خالية منها وجوباً فامتنع كونها منصوبة وتعيّن كونها مجرورة".[١٠١]

وحاول الاحتجاج لسيبويه بأن في الجرّ بلولا مع شذوذه استبقاءً لحقها "وذلك أنها مختصة بالاسم غير مشابهة للفعل، ومقتضى ذلك أن تجرّ الاسم مطلقاً، لكن منع من ذلك شبهها بما اختص بالفعل من أدوات الشرط من ربط جملة بجملة... وأرادوا التنبيه على موجب العمل في الأصل فجرّوا بها المضمر المشار إليه".[١٠٢]

ومما ردّ به كون الضمير في محل نصب ما ذكره ابن الأنباري عن البصريين من أنهم دفعوا توهم أن يكون الضمير بعد لولا في محل نصب" بأن لولا حرف،وليس بفعل له فاعل فيكون الضمير في موضع نصب ".[١٠٣]

وأضاف ابن الأنباري إلى هذا إجابة عن تساؤل عن متعلق (لولا) إذا عدّت حرف جرّ فأسند إلى البصريين قولهم :"قد تكون الحروف في موضع مبتدأ لا تتعلق بشي كقولك: بحسبك درهم ومعناه: حسبُك، قال الشاعر:

بحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم غنيٌّ مُضِرّْ

وكقولهم "هل من أحد عندك، أي: هل أحدٌ عندك؟ قال الله تعالى {مالكم من إله غيره}الأعراف٥٩، ٦٥ ،٧٣ ،٨٥.أي: مالكم إله غيره، ولهذا كان (غيره) مرفوعاً في قراءة من قرأ بالرفع، فموضعها رفع بالابتداء وإن كانت قد عملت الجرّ، وكذلك (لولا) إذا عملت الجرّ صارت بمنزلة الباء في (بحسبك) ومِنْ في: هل من أحد عندك ،ولا فرق بينهما".[١٠٤]

وزعم المالقي أنّ حجة سيبويه "أنه يرى الخروج بالحرف (يعني من الابتداء إلى الجرّ) أولى من الخروج بالاسم؛ لأنّ الحرف أضعفُ من الاسم"[١٠٥] وربّما كان ذلك مراعى عند سيبويه ولكنه لم يظهر صريحاً في كلامه.

الاتجاه الثاني ينسب إلى الكوفيين والأخفش من البصريين بأنه في موضع رفع، واحتجوا بأن الضمير قام مقام ظاهر، وهذا الظاهر مقامه رفع على الفاعلية على مذهب الكوفيين وعلى الابتداء على رأي البصريين ؛فكذلك كل ما قام مقامه، كذا قال ابن الأنباري على لسانهم.(١٠٦)

وقد ذكر هذا الوجه سيبويه كما سبق قبل قليل ووصفه بالوجه الرديء. (١٠٧)

وكان من حجج هؤلاء أنَّ (لولا) ليس في حروف الخفض ما هو بمعناها فتحمل عليه، فتكون جارة مثله، ففارقت بذلك عسى التي حملت على (لعلّ) لأنّها بمعناها ولذلك نصبت الضمير فقالوا: عساك، عساني.

وأيضاً فإن (لولا) لو كانت جارة للضمير لكنّا نجد اسماً ظاهراً مخفوضاً بها، لأنه "ليس في كلام العرب حرف يعمل الخفض في المكنّى دون الظاهر، فلو كانت مما يخفض لما كان يخلو أن يجيء ذلك في بعض المواضع أو في الشعر الذي يأتي بالمستجاز، وفي عدم ذلك دليل على أنه لا يجوز أن تخفض ظاهراً ولا مضمراً، فدلّ على أن الضمير بعد (لولاك) في موضع رفع.

واستدلوا أيضا حسب ابن الأنباريّ "بأن المكنيّ كما يستوي لفظه في النصب والخفض نحو: أكرمتك ومررت بك، فقد يستوي لفظه أيضاً في الرفع والخفض نحو: قمنا، ومرّ بنا؛ فيكون لفظ المكنيّ في الرفع والخفض واحداً، وإذا كان كذلك جاز أن تكون الكاف في موضع (أنت) رفعاً".(١٠٨)

كذا عرض ابن الأنباري حجج الكوفيين ثم صحح مذهبهم وأجاب عن كلمات البصريين على النحو الآتي:

أمّا قولهم:" إنّ الياء والكاف لا يكونان علامة مرفوع" قلنا: لا نسلم، فإنه قد يجوز أن تدخل علامة الرفع على الخفض؛ ألا ترى أنه يجوز أن يقال: "ما أنا كأنت" وأنت من علامات المرفوع، وهو هاهنا في موضع المخفوض وهما في "لولاي ولولاك" من علامات المرفوع.

والذي يدل على أن (لولا) ليس بحرف خفض أنه لو كان حرف خفض؛ لكان يجب أن يتعلـــق بفعل أو معـــنى فعل، وليس له هاهنا ما يتعلق به.(١٠٩)

قولهم "قد يكون الحرف في موضع مبتدأ لا يتعلق بشيء" قلنا (يقصد الكوفيين): الأصل في حروف الخفض ألاّ يجوز الابتداء بها، وألاّ تقع في موضع مبتدأ، وإنما جاز ذلك نادراً في حرف زائد دخولهُ كخروجه كقولهم "بحسبك زيدٌ وما جاءني من أحد" لأن الحرف في نيّة الاطراح؛ إذ لا فائدة له" ثم قال... "فأمّا الحرف إذا جاء لمعنى فليس بزائد؛ لأنه ليس دخولُه كخروجه؛ ألا ترى أنك لو حذفتها لبطل ذلك المعنى الذي دخلت من أجله بخلاف الباء في بحسبك زيد، و(مِنْ) في قولك: ما جاءني من أحد ،فبان الفرق بينهما.

ثم لو سلمنا أن الحرف مطلقاً إذا وقع في موضع ابتداء لا يتعلق بشيء فلا نسلم هاهنا أنّ الحرف في موضع ابتداء".(١١٠)

وواضح انتماء هذين الرأيين إلى فكرة واحدة وهي القول بالعامل والمعمول، وهي مقولة لها أهميتها في تفسير العلاقة بين ألفاظ التركيب، وسهلت على النحاة شرح الجملة العربية، ولكنها تسبّبت في ردّ أساليب وتراكيب تكلم بها الفصحاء ممن لا يعرفون الأقيسة النحوية في كل الأحوال ناهيك عن رعايتها في كلامهم، وهكذا لم تجد هذه الأساليب لها مكاناً في قواعد النحاة، فوصفت بالشذوذ والندرة إلى غير ذلك.

وللقوم تأملات قيّمة حاولوا بها تفسير هذه التراكيب والأساليب الخارجة عن القياس من ذلك:

أنّ النحاس نسب إلى أبي إسحاق (لعله يقصد الزجاج) تفسيراً لتحول حرف الابتداء إلى حرف جرّ بتحديد وجه الشبه بين لولا وحروف الجرّ قائلاً: "إنّ خبر المبتدأ الذي بعد (لولا) لا يظهر فأشبهت لولا حروف الجرّ؛ لوقوع اسم بعدها، وكان المضمر لا يتبين فيه إعراب فجعل موضع المجرور".(١١١)

ونقل الأعلم هذا الشبه إلى المبتدأ بعد لولا والمجرور للعلة نفسها التي ذكرها أبو إسحاق قال فيما نسبه إليه البغداديّ "ولما كان مبتدؤها (يعني لولا) محذوف الخبر أشبه المجرور لانفراده، والمضمر لا يتبين فيه الإعراب، فوقع مجروره موقع مرفوعه".(١١٢)

ولسيبويه ملحوظة مهمة لعلها مصدر إلهام لأبي إسحاق والأعلم فيما قالاه، وهي أنه شبّه حال (لولاي) و(عساني) بما كان من حال (لدن) و(لات) عندما تخرج عمّا استقر لها، قال: "فهذان حرفان (يعني لولا وعسى) لهما في الإضمار هذا الحال (يقصد مجيء الضمير المشترك بين النصب والجرّ متصلاً بهما)، كما كان (للدن) حالٌ مع غدوة (يعني مجيء غدوة منصوبة بعد (لدن) على الرغم من أن (لدن) من الكلمات الملازمة للإضافة)، وكما أنّ (لات) إذا لم تعملها في الأحيان لم تعملها فيما سواها، فهي معها بمنزلة ليس، فإذا جاوزتها فليس لها عمل".(١١٣)

فشدة الاختصاص والارتباط بين بعض أجزاء التركيب لا تمنع من خلل وخروج عن المعهود، بل قد يكون بعض الجمود سبباً في تصرف يخلق تراكيب جديدة من تراكيب ذات أنماط مخصوصة.

وفي الضمائر على الرغم من انفراد بعضها بالانفصال ومواضع الرفع،وبعضها بالانفصال ومواضع النصب،وبعضها بمواضع الرفع والاتصال، وبعضها بالاتصال والاشتراك بين مواضع النصب والجر،وواحد منها ينفرد بالاشتراك بين مواضع الرفع والنصب والجر، على الرغم من ذلك فإن هذا الانفراد ينكسر في التزام الموقع الإعرابي وفي الاتصال والانفصال؛ فضمائر الرفع المنفصلة قد تأتي في مواقع الجرّ والنصب؛ فقد ذكر ابن الشجري أن من حجّة الأخفش أَنَّ العرب قد استعارت ضمير الرفع المنفصل للنصب في قولهم: لقيتك أنت، وكذلك استعاروه للجرّ في قولهم: مررت بك أنت، ثم قال:"وأشد من هذا إيقاعهم إياه بعد حرف الجرّ في قولهم: أنا كأنت وأنت كأنا".(١١٤)

ويزعم ابن هشام أن استعارةَ ضميرٍ مكان آخر محصورٌ في الضمائر المنفصلة قال:"إن النيابة إنما وقعت في الضمائر المنفصلة لشبهها في استقلالها بالأسماء الظاهره".(١١٥)

ولعل في لولاي وعساني ما يرد على ابن هشام زعمه هذا، ويرد عليه أيضاً مجيء المتصل في مواضع لا يأتي فيها إلاّ المنفصل مثل وقوعه بعد (إلاّ) في قول الشاعر:

أعوذ برب العرش من فئة بغت علَيّ، فما لي عوض إلاّه ناصر

وقوله:

وما علينـــــا إذا ما كنت جارتنا ألا يجـــــــاورنا إلاّ ك ديار

أما كسر الانفراد في الاتصال والانفصال فقد حدث في بعضها إذ نجد ضمير الغيبة المتصل يأخذ شكل الضمير المنفصل في ثلاثة ألفاظ وهي (هما) و(هم) و(هنّ).

هذا ومع أنّ معظم النحاة المتأخرين يذهبون مذهب سيبويه إلاّ أنه يوجد من يخالفه ويوافق الأخفش والكوفيين كالمالقيّ في رصف المباني، والحجة الأقوى في كلام هؤلاء عدم وجود ما تتعلق به (لولا) إذا جعلت حرف جرٍّ، قالوا: "ولا يحتج برُبّ لأنها لازمة للخفض، وفي الكلام الداخلة عليه ما تتعلق به بعدها".(١١٦)

وعلى الرغم من دفع البصريين المتأخرين هذا بأنّ (لولا) مثل حروف الجرّ الزائدة لا تتعلق بشيء، إلاّ أن حرف الجرّ الزائد ليس مثلها فهو لا معنى له ولا متعلق له، أما (لولا)، فلها معنى وهو الامتناع لوجود، ومثلها في ذلك لعلّ الجارّة عند عُقَيل، وربّ عند من يقول بأنها تدخل على المبتدأ ولا متعلق لها، وكذلك خلا وعدا وحاشا الجارّة فيها معنى الاستثناء، ولا متعلق لها(١١٧)، ومع هذا فإن الاعتراض على القول بزيادتها مع أنها تدلّ على معنى لا أهمية له كما سنرى، ويمكن تسجيل الملحوظات التالية:

١- أن البصريين عندما يعدون (لولا) حرف جرٍّ زائداً فإن الضمير يُبْقِي في محل رفع مبتدأ، وجاء على صورة ضمير الجرِّ؛ كما يجر الاسم المعرب بعد حروف الجرّ الزائدة مع أنه مبتدأ في {هل من خالقٍ غير الله يرزقكم}فاطر:٣ ،وفاعل في {ما جاءنا من بشير ولا نذير}المائدة:١٩ وهكذا، وعلامته حركة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرّ الزائدة، ولا يخرج الأمر عن كونه اسماً مرفوعاً حل محلّه مجرور لفظاً، أو ضمير في محل رفع جاء في صورة ضمير الجرّ. وهذا قريبٌ من قول من يقول بحلول ضمير الجر محل ضمير الرفع.

ولعل سيبويه لم يقصد شيئاً من هذا؛ بل إني أظنه يعدّ الضمير المتصل بلولا في محل جرٍّ حقيقة ولم يذكر مسألة التعلّق.

٢- اعتراض الكوفيين على جعل (لولا) حرف جرّ زائداً؛ لأن له معنى لا يغير من الأمر شيئاً، فالنحاة حرّروا هذه المسألة؛ ذلك أنهم قسموا حروف الجرّ إلى ثلاثة :حرف جر أصليّ وهو ما كان له متعلق ومعنى مثل: أخذت من الدراهم، وحرف جرّ زائد وهو ما لا معنى له ولا متعلق مثل: بحسبك درهم، وحرف جرّ شبيه بالزائد وهو ما لا تعلّق له ولكن له معنى، وعدّوا منها لعلّ في لغة عقيل وربّ وخلا وعدا وحاشا ولولا على رأيٍ.(١١٨)

وهذا النوع الأخير مثل حروف الجرّ الزائدة يعرب مجروره بحركات مقدرة حسب موقعه الإعرابي، ويشغل المحل بحركة تناسب حرف الجرّ ،فإن كان ضميراً جاء على صورة الضمير المجرور.

٣- النحاة في هذا البحث –حتى الذين لحظوا حلول الضمائر المنفصلة محل المتصلة والعكس- شغلوا بالمحل الإعرابي وبالعامل وما يجب أن يكون عليه، وهذا أفسد إلى حدٍّ ما ما وصلوا إليه.

٤- تولّد عن جعل لولا حرف جرٍّ مختصّ بالضمير أنه "إذا عُطِفَ على الضمير المتصل بلولا ظاهرٌ لم يجر على مذهب سيبويه، لأنّ (لولا) تجرّ المضمر ولا تجرّ الظاهر"، كذا قال أبو حيان فيما نسبه إليه صاحب الجنى، وبقيته "فلو رفع المعطوف على توهم أنّك أتيت بضمير الرفع المنفصل ففي جواز ذلك نظر" وعلى هذا فأبو حيان يعتبر (لولا) حرف جرٍّ حقيقياً يجرّ اللفظ والموضع، ولعلّ هذا مراد سيبويه، وبناء على كلام أبي حيان فلا يجوز أن تقول: لولاك وزيدٍ لحضرت أو: لولاك وزيدٌ لحضرت (بالجر والرفع) على الرغم من عدم اللبس وعدم فساد المعنى، ولكن ابن هشام ذكر أنه "إذا عطف عليه اسم ظاهر تعيّن رفعه لأنّها لا تخفض الظاهر، وإجازة هذا التركيب بالرفع وبالجرّ أولى. كما جاز ذلك في الصفة في قوله تعالى {هل من خالقٍ غيرُ الله} فقد قرىء بالرفع والجرّ.

٥- في بحث عن الضمائر كتبه د/ محمد عبد الله جبر أشار إلى أن هذه الظواهر التي سجلتها الاستعمالات العربية لحلول ضمائر ذات موقع إعرابي محل ضمائر لها موقع إعرابي مخالف تشبه تمام الشبه ما تناوله د/ أوتو بسبرسن في "فصول في اللغة الإنجليزية" فقد أفرد فصلاً كبيراً بتبدلات الضمائر في الإنجليزية، وسجل فيه تبدل الضمائر ووقوع بعضها موقع بعض مع مجموعة من الأدوات" وأشار إلى أنه دعم رأيه بأمثلة من الإنتاج الأدبي لكبار الشعراء والكتاب الإنجليز. وذكر أنه "سجل حلول ضمير الجرّ محلّ الرفع الواقع خبراً للمبتدأ في الاستعمال الشائع **It is me** بدلاً من **It is I**، ومحل الضمير الواقع فاعلاً في التعبير **shall us** بدلاً من **shall we** وقد عدّ لذلك ستة مواضع عن شكسبير".(١١٩)

وهذا الكلام الذي أشار إليه د.جبر يدل على أنّ الضمائر قد تتخطى مواقعها الإعرابية المقررة لها إلى مواقع أخرى لغيرها ليس في اللغة العربية بل وفي لغات أخرى مما يدل على أشياء مشتركة بين اللغات وإن اختلفت فصائلها كما هو الحال في وجود الضمائر وأسماء الإشارة وفي بعض مظاهر الاستعمال لها.

٦- وأخيراً أرى أن أمن اللبس كان أكبر سبب في مراعاة ما يخص المواقع الإعرابية؛ فمواضع المبتدأ والخبر والفاعل ونائب الفاعل واسم كان وخبر إنّ رفع تستحق الضمة، أو ما ينوب عنها، وتستحق من الضمائر ما يكون ضمير رفع وهكذا، ويلزم الأخذ بهذا إتقاءً للبس، وهذا ينطبق على مواقع النصب والجرّ أيضاً، ولكنّ الفصحاء وأهل اللغة قد لا يتقيدون بما يلزم لتلك المواضع إذا أمن اللبس فنجدهم ينصبون ويجرون ما بعد خلا وعدا وحاشا، ويرفعون وينصبون ويجرون ما بعد (لات)، وكذلك ينصبون ويرفعون ويجرون (غدوة) بعد (لدن)، ويحلّون ضمائر الرفع محل ضمائر الجرّ أو العكس إلى غير ذلك من تصرفات يفعلها المتكلم باللغة اجتراء وشجاعة

منه على لغته، كيف لا؟ وهو المتكلم بها والمبدع لها، واتكاءً على أنّ المعنى لا يتغير بتغير العلامة الإعرابية أو بتغير ما يقتضيه الموضع من ضمير. وإذا كان النحاة رغبةً في ضبط القاعدة النحوية وضعوا قواعد حسب الشائع والمقيس، فإنّ هذا شأن عالم وعلم النحو، ولكن المتكلم باللغة السابق للنحو قد يخرج عن القياس في كلامه فيقبل منه ذلك ويحفظ وقد يقاس عليه أو لا يقاس.

ولكن قد يتساءل المرء عن السرّ في إيراد ضمير الجرّ محل ضمير الرفع في حين أنه لم يجرّ الاسم الظاهر المعرب بعد لولا، والجواب على ذلك أنه مما ساعد على مجيء الضمير المتصل بعد لولا أنه من طبيعة الضمير إذا جاء بعد اسم أو فعل أو حرف الاتصال إلاّ إذا منع منه مانع، وكأنّ الضمير يميل إلى الاتصال بما قبله من حرف أو اسم أو فعل، ولولا تسبق الضمير كثيراً فتساهل المتكلمون وصله فوصلوه كما هو الأكثر من أحوال الضمير الملازم لكلمة تأتي سابقة له.

أما الاسم المعرب فهو على حال غير حال الضمير.

* * *

الخاتمة

كشف هذا البحث موقف النحاة من أسلوب أخبر الثقات أنّ العرب تتكلم به وهو قولهم: لولاي ولولاك موقعين الضمير المتصل بعد لولا بدلاً من ضمير الرفع المنفصل، ورأينا أن النحاة حاولوا توجيهه؛ لصحة استعماله مع مخالفته للقياس، إلاّ ما كان من المبرد من إنكار له على الرغم من وجوده عند الشعراء قبله ومن معاصريه ممّن يحتج بشعرهم أو ممن شهد لهم الناس بالفحولة والتقدم والنسج على منوال الشعر الفصيح المحتج به.

ورأينا أن الشعراء زاد استعمالهم لهذا الأسلوب حتى فاق استعمال الأسلوب القياسي، وهو مجيء ضمير الرفع المنفصل بعد لولا مما ظهر واضحاً جلياً عند أبي تمام والبحتري والمتنبي وغيرهم.

وقد أبانت الموسوعة الشعرية أن هذا الاستعمال مما أكثر منه الشعراء في القرن الرابع وما بعده عند أشهر الشعراء كالشريف الرضي الذي وجد في شعره تسعة وعشرون بيتاً، جاءت فيها لولا وبعدها الضمير المتصل، وهو محمد بن الحسين عاش من ٣٥٩–٤٠٦هـ، وذكر الزركلي في ترجمته أنه أشعر الطالبيين وشعره من الطبقة الأولى وصفاً وبياناً وإبداعاً.

– وابن زيدون، من الأندلس، وهو أحمد بن عبد الله ٣٩٤–٤٦٢هـ، ورد هذا الأسلوب في شعره تسع مرات.

– وابن حيّوس، محمد بن سلطان ٣٩٤–٤٧٣هـ شاعر الشام في عصره كما يقول الزركلي، جاء هذا الأسلوب عنده في اثنين وثلاثين بيتاً.

– ومن القرن السادس، سبط ابن التعاويذي ٥١٩–٥٨٣هـ شاعر العراق في عصره حسب الزركلي، جاء هذا الأسلوب في شعره في أربعة وعشرين بيتاً.

– ومن الثامن الصفي الحلّي، عبد العزيز بن سرايا الطائي ٦٧٧–٧٥٠هـ، شاعر عصره، حسب الزركلي أيضاً، ورد هذا الأسلوب عنده في ثمانية عشر بيتاً.

– هذا بعض ما أنبأت به الموسوعة الشعرية، ولمن أراد المزيد فليراجعها.

وكما أن هذا الأسلوب لم يرد إلا في أحاديث ضعيفة أو موضوعة إلا ما كان من حديث سنده صحيح عند أبي يعلى الموصلي؛ فقد شعرت وأنا أتتبع هذا الاستعمال في الشعر عبر العصور أنه قد يكون وجوده في شعر ما مفيداً في تحديد زمانه بإخراجه من شعر الجاهلية وصدر الإسلام وجزءاً لا بأس به من العصر الأموي، ومفيداً في تحديد مدى فصاحة الشاعر وصحة نسبة الشعر؛ وذلك لقلته في شعر الفحول المحتج بشعرهم وثبوته في شعر من يحتج بشعرهم وإن لم يكونوا من الفحول، ولانتشاره واستشرائه في شعر الفحول ومن دونهم من شعراء القرنين الثالث والرابع وما بعد ذلك حتى عصرنا الحديث.

ولعل هذا الأسلوب يشير إلى تسامح العرب وتصرفها في بعض الأساليب عند أمن اللبس، ويشير إلى أنّ

الأساليب التي تلتزم نمطاً معيناً عرضة للتغيير الذي لا يترتب عليه تغيير في المعنى أو خفاء في الدلالة، ومن ذلك حلول الضمير المتصل المنصوب أو المجرور محل ضمير الرفع والعكس.

وقد ظهر إلى أيّ مدى يمكن أن يختلف النحاة وبخاصّة عندما تصطدم القاعدة مع النصّ، ولا ضير في الاختلاف ما لم يحجّر واسعاً، أو يخطيء فصيحاً من القول أو المتكلمين والله أعلم.

الحواشي والتعليقات

(١) الكتاب ٣٧٣/٢

(٢) نفسه ٣٧٤/٢، ٣٧٥، ٣٧٦

(٣) انظر هامش الكتاب ٣٧٤/٢

(٤) النكت ٦٦٣، ٦٦٤

(٥) شرح التسهيل ١٨٥/٣

(٦) الخزانة ٣٤٠/٥

(٧) المقتضب ٧٣/٣

(٨) الكامل ٣٤٥/٣، ٣٤٦

(٩) معاني القرآن ٨٥/٢

(١٠) الأصول ١٢٤/٢

(١١) اللسان (إمالا) ٤٧٠/١٥ وانظر كيف أثبت الشطر الأول، وقد تكون رواية فيه.

(١٢) الخزانة ٣٤١/٥

(١٣) عن الخزانة ٣٤١/٥

(١٤) عن الخزانة ٣٣٨/٥ وكلام الأعلم بهذا النص ليس في النكت.

(١٥) ينسب لعمر بن أبي ربيعة.

(١٦) الأمالي الشجرية ٢٧٧/١، ٢٧٨

(١٧) نفسه ٥١٢/٢

(١٨) الأزهية ١٧١، ١٧٢

(١٩) نفسه ١٦٧

(٢٠) الإنصاف ٦٩٣–٦٩٥،وراجع الحاشية الثالثة بالنسبة لقول السيرافي.

(٢١) الجنى ٥٤٥، ٥٤٦

(٢٢) المقرب ١٩٣/١ وشرح الجمل ٤٧٣/١

(٢٣) شرح التسهيل ١٨٥/٣

(٢٤) شرح الكافية ٤٦/٣

(٢٥) جواهر الأدب ٤٨٥، ٤٨٦

(٢٦) نفسه ١٤٥

(٢٧) الهمع:٢٠٨/٤ –٢١٠.

(٢٨) مرّ القولان قبل قليل.

(٢٩) الكامل ٢٦٣/١

(٣٠) الأصمعيات: ٢٠٦، وديوان العباس بن مرداس ٧٠

(٣١) ديوانه (الشعر المنسوب): ٢٠٧

(٣٢) أول بيت من ثلاثة في ديوان حسان (٢٦١) وقد جاء فيه "لم يروها أبو عمرو ولا ابن الأعرابي ولا أبو عبيد ولا أبو زيد الأنصاري إنما أخذت من مغازي ابن إسحق" فيظن أنها مصنوعة.

(٣٣) ديوانه: ٣٠٣

(٣٤) ديوانه: ٣٢٩

(٣٥) ديوانه: ٣٣/٢

(٣٦) شعر الأخطل: ٥٠٤/٢

(٣٧) نفسه ٣٥٢/١

(٣٨) ديوانه: ١٢٦

(٣٩) شعره: ٢٨٦

(٤٠) ديوانه: ١٠٢

(٤١) ديوانه: (الشعر المشكوك في صحته): ١٠٠

(٤٢) ديوان عبدالله بن رواحة: ١٣٩ والرواية: "تالله لولا الله". وينسب في الصحيحين إلى عامر بن الأكوع، ولم يرد بهذه الرواية في أي من كتب الحديث التسعة التي وضعت على أقراص الحاسوب. أنظر مثلاً صحيح البخاري،الأحاديث ذات الأرقام٢٨٣٦ ،ص٥٧٦، ٢٨٣٧ ص٥٧٦، و٣٠٣٤ ص٦١٤ منسوباً لعبد الله، ٤١٩٦ ص٨٦٥ منسوباًإلى عامر..إلخ ماذكرت الكتب التسعة.

(٤٣) أنظر اللسان (دهس) والتاج ٩٨/١٦

(٤٤) سبقت الإشارة إلى مصادره.

(٤٥) ديوان مجنون ليلى: ٢٣٦

(٤٦) لم أجده في الديوان وأفدته من الموسوعة الشعرية.

(٤٧) ديوان أعشى همدان وأخباره: ١٢٥

(٤٨) شعراء أمويون–القسم الثالث–١٠٠

(٤٩) ديوانه (٤٣).

(٥٠) شعراء أمويون–القسم الثالث–٢٧٦، والقلة باللام ما ثبت في الكتاب،وفي اللسان (قنن)"وقنة الجبل وقلته:أعلاه"

(٥١) نفسه ص١٩٣

(٥٢) الدرر ٣٣/٢

(٥٣) شعر الأخطل ٢٢٦/١

(٥٤) انظر الدرر ٣٣/٢،وقد وقع في الدرر تحريف (يشري)إلى (يشرب)،وهي من قول الشاعر:

فبيناه يشري رحله قال قائل   لمن جمل رخو الملاط نجيب

وقول الشنقيطي (ولم نعثر على قائله)المقصود به :خليلي إن العامري.. إلخ ،ولم أظفر بقائله أيضاً.

(٥٥) الكتاب ٣١/١

(٥٦) شاعرات العرب: ١٢٤

(٥٧) لم أجده في ديوانه وانظر الخزانة: ٣٤١/٥

(٥٨) شرح التسهيل لابن مالك ١٤/١ والجنى: ١٧٦ والمغني: ٤٤٤ وشرح أبياته للبغدادي ٤٣/٦ والهمع: ٤٠١/٤

(٥٩) شعراء عباسيون: ٦٨

(٦٠) ديوان السيد الحميري ٣٩٣

(٦١) الخزانة ٨/١ عن الاقتراح. وانظر شعره: ٧٠

(٦٢) الخزانة ٨/١ عن الاقتراح. وانظر ديوانه: ٢٠٦/٢

(٦٣) ديوانه ٢٣٠/١، ١٣/٢

(٦٤) ديوانه ٦٠، ١١٠، ٢٧٢،٢٨٠،١٣٧

(٦٥) ديوان أبي نواس: ٤٦٠، ٦٢٣

(٦٦) ديوانه: ٤٢

(٦٧) الإصباح في شرح الاقتراح ٩٤، ٩٥. وانظر ديوانه: ٥٩، مقطوعه ١٣٦

(٦٨) شرح ديوانه: ١٥٦

(٦٩) انظر الخزانة ٦/١، ٧ وديوانه: ١٠٨، ١١٤، ١١٧، ١٦٤، ٢٠٨، ٢١١، ٢٤٠، ٢٨٠، ٢٨٣، ٣٥٥، ٤٠٧

(٧٠) ديوانه: ٦٥

(٧١) ديوانه: ١٣٣/١، ٢٢٢، ٣٣٢، ٤٠٤، ٤٧٩، ٥٤٧، ٩٣٠/٢، ١٠٣٥، ١١٦٥ أما الضمير المنفصل فجاء في ص ٦٨٣

(٧٢) ديوانه: ١٤١/١، ١٤/٤، ٢٨، ٦٦، ١٦٨

(٧٣) ديوانه: ٢٠٠/١

(٧٤) ديوانه–على التوالي–ص ١٠، ٢٨، ٢٩، ٧٩، والضمير المنفصل ص٩١

(٧٥) الشوقيات–على التوالي ١٨/١، ٦٦، ٨١، ١٥٧، ٧/٢، ١٩، ٨٦/٣، ٨١/٤

(٧٦) ديوانه–على التوالي ٢٨/١، ٣٠، ٤٣، ٨١، ١٤٢، ٣١٠ ولم أعثر على شيء من هذا في الجزء الثاني.

(٧٧) قول طرفة: ولولا ثلاثٌ هنّ من خلق الفتى   وجدّك لم أحفِل متى قام عوّدي.

(٧٨) ديوانه: ٣٢٠ (في زيادات ملحق الطوسي).

(٧٩) ديوانه ص: ١٠٣، ١٥٨، ١٧٥، ٢٠٢، ٢١٦ مرتين، ٢٣١

(٨٠) في أصول النحو:٥٥–٥٨

(٨١) صحيح البخاري:٧٩٤ ،١٣١٥ وانظر فتح الباري ٢٤٢/٧، ٢٤٣ و٧٢٥/١٠

(٨٢) صحيح مسلم ١٩٤/١، ١٩٥.

(٨٣) مسند أحمد ٢٨٨/٣، ٢٩٦

(٨٤) انظر مسند أبي يعلى ٧٨/١٢ وراجع فيه الأحاديث ذات الأرقام ٦٧١٥، ٦٦٩٤، ٦٦٩٥

(٨٥) أحكام القرآن ٢٤٠/٣

(٨٦) نفسه ٢٣٦/٣ وانظر صحيح البخاري ص ٦٩٧ ،٩٩٢، ٩٩٥ .

(٨٧) كشف الخفاء ٤٥/١ وكتر العمال ٤٣١/١١، الحديث رقم ٣٢٠٢٥

(٨٨) كشف الخفاء ١٦٤/٢ الحديث رقم ٢١٢٣

(٨٩) ١٣ /١٥٢ الحديث ٣٦٤٧٧

(٩٠) بلغة السالك ٤٩٧/٤

(٩١) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٩١/١،وانظر في حكم التوسل به(ص)كتاب هذه مفاهيمنا من٢٠–٣٠.

(٩٢) أدب الدنيا والدين ١٢٢،وتاريخ مدينة السلام (بغداد)٣٨٧/٢،٣٨٦، وزوائد تاريخ بغداد ٤٨٤/١.ونقل كما هو عن البغدادي في كتر العمال٤٩١/٣،تحت رقم٧٥٦٠ .

(٩٣) كتر العمال ٣٩٤/٢، ٣٩٥

(٩٤) فتح الباري ٧٠٦/١١

(٩٥) نفسه ٦٥٦/١٣

(٩٦) نفسه ٦٦٠/١٣والنص هكذا فيه.

(٩٧) الإنصاف: ٦٨٧

(٩٨) الكتاب ٣٧٣/٢

(٩٩) نفسه ٣٧٣/٢

(١٠٠) نفسه ٣٧٥/٢، ٣٧٦

(١٠١) شرح التسهيل ١٨٥/٣

(١٠٢) نفسه ١٨٥/٣

(١٠٣) الإنصاف: ٦٨٩

(١٠٤) نفسه: ٦٨٩

(١٠٥) الرصف: ٣٦٤

(١٠٦) الإنصاف: ٦٨٧

(١٠٧) الكتاب ٣٧٦/٢

(١٠٨) الإنصاف: ٦٨٨

(١٠٩) نفسه: ٦٩٠

(١١٠) نفسه: ٦٩٠

(١١١) الخزانة: ٣٤١/٥

(١١٢) نفسه ٣٣٨/٥

(١١٣) الكتاب: ٣٧٥/٢

(١١٤) الأمالي الشجرية: ٢٧٨/١

(١١٥) المغني (لولا).

(١١٦) الرصف: ٣٦٤

(١١٧) انظر مثلاً الخزانة ٩/٥٦٥

(١١٨) انظر حاشية الشيخ محمد محيي الدين أوضح المسالك ٣/٥

(١١٩) الضمائر: ١٩٨، ١٩٩ بتصرف.

المصادر والمراجع

بالإضافة إلى عدد كبير من دواوين الشعر ومجموعاته مما لم أجد فيه شواهد أسلوب (لولاي) وأضربت عن ذكره في هذا الفهرس أعدّ هذه المصادر:

- أحكام القرآن، لابن العربي أبي بكر محمد بن عبد الله، تحـ:محمـــــد عبدالقادرعطا، دار الكتب العلمية ،١٤١٦ .
- أدب الدنيا والدين، للماوردي، (٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الأزهية في علم الحروف، لعلي بن محمد الهروي ٤١٥، تحـ: عبد المعين الملوحي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٢هـ.
- الإصباح في شرح الاقتراح، د. محمود فجال، دار القلم –دمشق ط١، ١٤٠٩هـ.
- الأصمعيات، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب ١٢٢–٢١٦هـ، تحـ: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٥، بيروت.
- الأصول في النحو، لابن السراج تـ٣١٦، تحـ: عبد الحسين القتلي، ط١، ١٤٠٥، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- أمالي ابن الشجري هبة الله بن علي الحسني (٤٥٠–٥٤٢هـ)، تحـ: د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، لابن الأنباري، ٥٧٧هـ، تحـ: محمد محيي الدين، المكتبة التجارية بمصر.
- أوضح المسالك، لابن هشام، ٧٦١هـ بعناية الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الفيصلية مكة.
- بلغة السالك لأقرب المسالك، المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير، تصوير دار الفكر.
- تاج العروس، للزبيدي، جـ١٦، تحـ: محمود الطناحي ١٣٩٦، دار إحياء التراث، بيروت.
- تاريخ مدينة السلام (بغداد)للخطيب البغدادي(٣٩٢–٤٦٣)،حققه د:بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي،١٤٢٢ ،ط١.
- الجنى الداني في حروف المعاني، لحســـــن بن قاسم المرادي، تـ٧٤٩هـ، تحـ: طه محسن،جامعة الموصل ١٣٩٦.
- جواهر الأدب، للإربلي ٧٤١هـ، تحـ: د. حامد أحمد نيل، مكتبة النهضة المصرية، ١٤٠٤هـ.
- خزانة الأدب، لعبد القادر البغدادي تـ١٠٩٣هـ، تحـ: عبد السلام هارون، القاهرة.
- الدرر اللوامع، لأحمد بن الأمين الشنقيطي، دار المعرفة، بيروت ١٩٩٣هـ.
- ديوان أعشى همدان وأخباره، د. حسن عيسى أبو ياسين، دار العلوم، الرياض ١٤٠٣هـ.
- ديوان البحتري، شرحه: د. محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- ديوان بشار بن برد، تحـ: الشيخ محمد الطاهر عاشور، الدار التونسية، ١٩٧٦م.
- ديوان أبي تمام، شرح د. شاهين عطية، ط١، بيروت، ١٣٨٧
- ديوان حافظ إبراهيم، أخرجه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، الناشر محمد أمين دمج، بيروت، ١٩٦٩م.
- ديوان حسان بن ثابت، تحـ: د. سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٤م.
- ديوان رؤبة بن العجاج، صححه: وليم بن الورد، دار الآفاق الجديدة، بيروت،١٩٧٩م.
- ديوان السيد الحميري، نشره شاكر هادي شكر، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ديوان الشافعي (٢٠٤هـ)، تقديم ومراجعـة: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره، صنعة: عبد الله الجبوري، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٤هـ.
- ديوان الطرماح بن حكيم، تحـ: د. عزّة حسن، ط٢، دار الشرق العربي، ١٤١٤هـ.
- ديوان أبي الطيب المتنبي: ضبطه وصححه مصطفى السقا وآخرون.

- ديوان العباس بن الأحنف، كرم البستاني، دار صادر، ١٣٩٨هـ..
- ديوان العباس بن مرداس، جمع وتحقيق: يحيى الجبوري، وزارة الثقافة، بغداد، ١٣٨٨هـ.
- ديوان عبد الله بن رواحة، د. وليد قصّاب –دار العلوم الرياض– ١٤٠٢هـ.
- ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر، ١٤١٨هـ.
- ديوان (الإمام) علي، جمعه: نعيم زرزور –دار الكتب العلمية– بيروت.
- ديوان علي بن الجهم، تحـ: خليل مردم بك، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب –مصر– ١٩٧٨
- ديوان عنترة، دار صادر، ١٤١٢
- ديوان الفرزدق، كرم البستاني، دار بيروت ١٤٠٠هـ.
- ديوان مجنون ليلى (قيس بن الملوح)، شرحه: عدنان تركي درويش، دار صادر، ١٤١٤هـ.
- ديوان النابغة الذبياني، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف –القاهرة.
- ديوان أبي نواس (الحسن بن هانئ)، تحـ: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ديوان يزيد بن المفرغ الحميريّ (٦٩هـ)، جمعهه: د. عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- رصف المباني للمالقي، تحـ: د. أحمد الخراط، مجمع اللغة بدمشق ١٣٩٥هـ.
- زوائد تاريخ بغدادعلى الكتب الستة،د:خلدون الأحدب ،دار القلم،دمشق ،ط١، ١٤١٧.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الشيخ محمد الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.
- شرح التسهيل، لابن مالك، ٦٧٢هـ، تحـ: د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، هجر، ط١، ١٤١٠هـ.
- شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور ٥٩٧–٦٦٩هـ، حققه: د. صاحب أبو جناح، وزارة الأوقاف –العراق ١٤٠٢هـ.
- شرح ديوان جرير، محمد إسماعيل الصاوي، الشركة اللبنانية للكتاب.
- شرح ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد الأنصاري ٢٠٨هـ) –دار المعارف–مصر.
- شرح ديوان أبي فراس الحمداني –مكتبة دار الحياة– بيروت.
- شرح كافية بن الحاجب للرضي، ٦٨٦هـ، أخرجه د. إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ.
- شاعرات العرب، جمعه: عبد البديع صقر، المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٨٧هـ.
- شعر الأخطل، صنعة السكري، تحـ: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٩م.
- شعراء أمويون (القسم الثالث)، تحـ: نوري حمودي القيسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٢هـ.
- شعراء عباسيون، ترجمة وإعادة تحقيق: د. محمد يوسف نجم، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٩م.
- شعر إبراهيم بن هَرْمَة القرشي ٩٠–١٧٦هـ، تحـ: محمد نفّاع وحسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة بدمشق، دار الحياة، ١٣٨٩هـ.
- شعر عروة بن أذينة، د. يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس، بغداد.
- الشوقيات، شعر أحمد شوقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- صحيح البخاري(١٩٤–٢٥٦)، باهتمام عبد الملك مجاهد، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.
- صحيح مسلم(٢٠٦–٢٦١)، عني به محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.
- الضمائر في اللغة العربية، لمحمد عبد الله جبر، دار المعارف، ١٩٨٠م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٨٥٢هـ)، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

- الفصول الخمسون، لابن معط، ٥٦٤-٦٢٨، تحـ: محمود الطناحي، عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٧م.
- في أصول النحو،سعيد الأفغاني،المكتب الأسلامي،١٤٠٧ .
- الكامل، للمبرد ٢٨٥هـ، أخرجه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر.
- الكتاب، لسيبويه، تحـ: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، لإسماعيل العجلوني (١١٦٢هـ)، ط٣، ١٩٨٨م.
- كتر العمال لعلاء الدين علي الهندي (٩٧٥هـ)، عني به الشيخ بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.
- اللسان، لابن منظور ٧١١هـ، دار صادر -بيروت ١٣٨٨هـ.
- مسند أبي يعلى الموصلي أحمد بن علي بن المثنى (٢١٠-٣٠٧هـ)، حققه وخرج أحاديثه حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، دمشق، ط١، ٤١٣.
- مسند الإمام أحمد(١٦٤-٢٤١)، الموسوعة الحديثية، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٤٢١هـ، بإشراف الدكتور عبد الله التركي.
- معاني القرآن، للفراء ٢٠٧هـ، تحـ: أحمد يوسف نجاتي وآخرين، تصوير عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.
- مغني اللبيب، لابن هشام، ٧٦١هـ حققـــه د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، ط٥، ١٩٧٩م.
- المقتضب، للمبرد ٢٨٥هـ، تحـ: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ١٣٩٩هـ.
- المقرّب، لابن عصفور ٥٩٧-٦٦٩هـ، تحـ: أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، مكتبة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩١هـ.
- النكت في تفسير كتاب سيبويه، للأعلم الشنـــــتمري، تـ٤٧٦هـ، تحـ/ زهير عبد المحسن، معهد المخطوطات، ط١، الكويت: ١٤٠٧هـ.
- هذه مفاهيمنا، لصالح عبد العزيز آل الشيخ، ١٤٠٦هـ، مطابع القصيم، الرياض.
- همع الهوامع، للسيوطي ٩١١هـ، تحـ: عبد السلام هارون، ود. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٣٩٤هـ.
- المكتبة الإلكترونية:
- جامع الفقه الإسلامي، البنك الإسلامي، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، من إصدار حرف.
- موسوعة الحديث الشريف، الكتب التسعة، الإصدار الأول لصخر، والإصدار الثاني لحرف.
- الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإصدار الأول والثاني عبر الشبكة العالمية.
- الموسوعة الميسرة في الحديث وعلومه، برمجيات ضاد.